

الفصل الأول

المقومات الطبيعية والبشرية لازدهار أسواق فاس

أولاً: المقومات الطبيعية

١- البيئة الجغرافية

٢- البيئة الزراعية

٣- الرعى والغابات

٤- وفرة المواد الخام

ثانياً: المقومات البشرية

١ - الوضعية السياسية للمدينة

٢ - النمو السكاني > الديموجرافي <

٣ - ازدهار النشاط الحرفي و الصناعي

٤ - المنشآت التجارية

٥ - الطرق والمواصلات

تتمثل المقومات الطبيعية لمدينة فاس في موقعها الجغرافي المتميز وسط المغرب الأقصى وبيئة المدينة الزراعية ، وأخيرا النشاط التعديني لهذه المدينة.

أ- البيئة الجغرافية :

يرجع تأسيس الدولة الإدريسية إلى عام ١٧٢ هـ / ٧٩١ م على يد إدريس بن عبد الله الذي دخل المغرب الأقصى في شهر رمضان من تلك السنة هربا من الخليفة العباسي موسى الهادي (١٦٩-١٧٠ هـ/ ٧٨٥-٧٨٦ م) بعد أن أوقع بالعلويين في موقعة فخ^(١) عام (١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م) فهرب إدريس وحط ورجاله في بقعة تدعى "وليلي"^(٢) قرب وادي الزيتون ، حيث اجتمعت حوله قبائل البربر خاصة قبيلة أوربه^(٣) واتخذته زعيما لها. وبعد أن توفي إدريس بن عبد الله (١٧٥ هـ / ٧٩٤ م) خلفه على الملك ابنه إدريس الثاني.

(١) موقعة فخ: كانت يوم التروية عام ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م عندما خرج العلويون من مكة بزعامه الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن ضد الخليفة العباسي موسى الهادي حيث بايع العلويون له بالخلافة في المدينة ثم سار إلى مكة ، فالتقى مع الجيش العباسي بقيادة سليمان بن المنصور بفخ، وهو وادي في طريق مكة يبعد عنها حوالي ثلاثة أميال ، فانهزم العلويون وكان قد اشترك مع الحسن عمه إدريس بن عبد الله بن الحسين ، ويحيى اللذان نجحا في الإفلات واتجه إدريس بن عبد الله إلى بلاد المغرب وفر يحيى إلى بلاد المشرق . للمزيد انظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، جـ ٨ ، دار المعارف ١٩٧٩ م ، ص ١٩٣-٢٠٤ ، المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محبى الدين ، جـ ٣ ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٣٩ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، راجعه محمديوسف الدقاق ، جـ ٥ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٧ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ابن خلدون : مصدرا سابق ، جـ ٤ ، ص ٧ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ ٢ ، ط ١٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٨٦ ، عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ص ٤ ، ١٩٨١ ، ص ٨ .

(٢) ويلي: مدينة عتيقة واقعة في السفح الجنوبي لجبل زرهون ، على بعد ٢٨ كلم من شمالي مكناس، ونزل بها إدريس بن عبد الله عند اسحاق بن محمد ابن عبد الحميد الأوربي ، وتوفي إدريس بها ، للمزيد انظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس جـ ١ ، ص ١٩ .

(٣) أوربة : قبيلة شهيرة من البربر البرانس ، كانت في القديم تشمل على بطون وعائل كثيرة ، مثل جايبة ونفاسة ومزيانة وقد عظمت تلك البطون حتى صارت في عداد القبائل . للمزيد انظر ابن القاضى : مصدرا سابق ، ص ٢٦ .

وطالبت مدة حكم إدريس الثاني حتى وفاته في ربيع الأول عام (٢١٣ هـ / ٨٤٨ م) والذي أسس في عهده مدينة فاس^(١).

ومدينة فاس مدينتان بناها إدريس الثاني ، ثاني امراء الأدارسة الأولى تعرف باسم "عدوة الأندلسيين" وبنيت يوم الخميس غرة ربيع الأول عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م والثانية أسسها عام ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م ، وتعرف باسم "عدوة القرويين ويشق المدينتين نهركبيرياتى من عيون "صنهاجة" وعدوة الأندلسيين مياها قليلة بالنسبة لعدوة القرويين فالأخيرة ذات مياه كثيرة إذ جرى الماء في كل شارع منها.^(٢)

ومع قيام دولة المرابطين أصبحت العدوتان مدينة واحدة خاصة في عهد يوسف بن تاشفين الذي أمر عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م بهدم السور الذي كان يفصل بين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، وربطهما بعدة قناطر وقام بإدارة الأموار على مدينة فاس وجعله سورا واحدا وأسس القلعة داخل أسوار مدينة فاس بحى القطانين.^(٣)

^(١) وتكثر الروايات عن سبب تسمية المدينة بهذا الاسم ، فمع شروع الإمام إدريس في بناء المدينة سأل عن اسم المدينة قال سموها باسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر بهم رجل فسأله عن اسمه ، وكان الشيخ فقال اسمي فارس ، فأسقط الراء من اسمه فقال إدريس سموها كما نطق ، فقالوا فاس . للمزيد انظر ابن أبي زرع: الأنيس ، ص ٤٥ . ويرى البعض أن إدريس بن إدريس عندما شرع في بناء مدينة فاس كان يعمل بيده مع الصناع بفأس من ذهب وقضة ، فسميت فاس لذلك ، ومع أعمال الحفر وجد فاسا كبيرا . مجهول: مخطط مدينة فاس ، مخطوطة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، رقم ٦١ بلدان ، وميكرو فيلم رقم ٢٩٩٨٩ ، ورقة ١٠ . وللمزيد انظر الجزنائي: جني زهرة الأسي ، ص ٢٣ ويرى البعض أنها فات PHUT وكلمة LUBIM الواردتين في التوراة ما هما إلا كلمتا فاس وليبيا للمزيد انظر: عبد الله العمراني : فاس وجامعتها ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١١-١٢ سنة ١٩٦٧ ، ص ١٧ . ليفي بروفنسال: تأسيس مدينة فاس ، تعريب سعيد النجار ، واحمدالباورى ، مجلة البحث العلمي ، كلية الاداب جامعة محمد الخامس العدد ٣١ أكتوبر ١٩٨٠ م . ص ١٥٧ .

^(٢) ابن الوردي: عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب تحقيق وتعليق أنور محمد زنتي(٦٩١ هـ - ٨٦١ هـ / ١٢٩١-١٤٥٧ م) ص ١١ . ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٨ . الناصري: الاستقصا الجزء الأول ، ص ٢٢٣ . مجهول مخطوط رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس ، مخطوطة ، دار الكتب المصرية ، ٩٧٢٢ ح ، ميكرو فيلم ١٩٨٨ ورقة 32. عدوة الأندلسيين ، وهي العدو الشرقية سميت بذلك لكثرة القبائل الواوادة عليها من جزيرة الأندلس ، أما عدوة القرويين أي الحدوة الغربية سميت بذلك لكثرة الوافدين من القيروان . مجهول: المخطوط السابق ، ورقة ٣٥ ، محمد الشطيبي المغربي الجمان في أخبار الزمان ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، تاريخ ١٤١٦ ميكرو فيلم ، ورقة ٢٠٧ .

^(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ، ابن خلدون: مصدر سابق ، ج ٦ ص ١٨٥ ، ابن ابى زرع: مصدر سابق ، ص ١٤١ الجزنائي: مصدر سابق ص ٤٢ ، ٤١ ليفي بروفنسال: أب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة القاهرة ، المطبعة الأميرية، ١٩٥١ ص ١٠٦ ، عبد القادر زمامه: معالم وأعلام من فاس القديمة ، مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث عشر، السنة الخامسة يناير ١٩٦٨ ، ص ٨٨ .

وظل سور مدينة فاس قائما حتى استيلاء الموحديين على تلك المدينة ، فحين نخل عبد المؤمن بن علي (٥٤٠-٥٩٩هـ / ١١٤٦-١٢٠٥ م) هذه المدينة عام ٥٤٠هـ / ١١٤٦م أمر بهدم سور المدينة وقال "اننا لا نحتاج الى سور إنما الأسوار سيوفنا وعدلنا" بالإضافة الى هدم السور قام بهدم القصبية المرابطية. (١)

واتسعت مدينة فاس مع بدايات حكم المرينيين والذين قاموا بإنشاء ثلاثة أحياء على ضفة النهر الغربية أولها المدينة البيضاء وتعرف بالجديد ، وبنائها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول من استقل بالملك بعد سقوط فاس عام (٦٤٦هـ / ١٢٥٠م) والثانية مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح وبنائها ولده أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف (٧١٠-٧٣١هـ / ١٣١٠-١٣٣١م) وكان ذلك عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م إلى جانب المدينة البيضاء ، والحي الثالث هو ريبض النصارى. (٢) وهو المتخذة لسكنى النصارى من الإفرنج المستخدمين بخدمة السلطان (٣) فبناء مدينة فاس الجديد، يرى البعض أنه كان بسبب الثورة التي قام بها سكان فاس العتيقة على اليهود في ٢ شوال ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، فكانت لها أثر واضح في اتخاذ السلطان أبي يوسف يعقوب قرار ببناء مدينة فاس الجديد في ٣ شوال من نفس العام فالثورة أقتعت السلطان بضرورة مغادرة فاس العتيقة وبناء حاضرة جديدة وذلك لحماية اليهود باعتبارهم من أهم العناصر التي تحالفت مع المرينيين وأمنتهم بالأموال وكل ذلك ساعد اليهود على تحسين وضعهم واحتكارهم لبعض الحرف كصياغة الذهب والصيرفة ، وجعلوا من طريق الذهب السوداني طريقاً يهودياً. (٤)

(١) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ١٨٩ ، روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ج ١ ، ترجمة محمد حجي وآخرين ، منشورات دار الغرب الاسلامي بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ٨٧.

(٢) ريبض النصارى : كان يضم عدداً كبيراً من النصارى ، وكان وجودهم منذ عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٣م في عهد المأمون الموحد وبكثرة عندما التمس المأمون مساعدة فرناندو الثالث ملك قشتالة له بفرقة من الجنود النصارى ليتقوي بها على يحيى بن الناصر ، وبالفعل أمده بجيش بلغت عدته عشر ألف فارس ، وريبض النصارى يقع في مؤخرة مدينة فاس الجديد بالناحية الموالية لساحة التجارة. للمزيد انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٢٥٠. فموقع مدينة حمص هو نفس موقع الملاح القديم ، فالملاح موضعه في الجهة التي تسمى اليوم بساحة التجارة ، بينما الملاح الحالي مقبرة يهودية قبل أن يصير حياً يهودياً بعد عام ١٧٢٤م للمزيد انظر محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين ، ص

(٣) الفلقتشدي: صبح الاعشي ، ج ٥ ، ص ١٥٤.

(٤) ابن أبي زرع : الذخيرة ، ص ١٦١ ، محمد المنوني ورقات ص ٤٣-٤٦ ، مصطفى نشاط : جوانب من المسكوت

وكانت فاس الجديدة يحيطها سوران ، ويكل سور منهما أبواب ، فالسور الأول يوجد به باب عيون صنهاجة وباب السمارين وباب القنطرة ، أما السور الثاني به باب الجياف والذي يسميه البعض باب الجباد الواقع شرق باب السبع وهو مدخل مدينة فاس الجديد من جهة المدينة القديمة .^(١)

وتتميز فاس بموقعها إذ تتوسط مدن المغرب الأقصى ، حيث تقع على نقطة تقاطع بين محورين كبيرين للاتصالات ، المحور الأول يمتد من الشمال إلى الجنوب بين البحر المتوسط أو مضيق جبل طارق إلى ما وراء الصحراء الكبرى اما المحور الثاني فيمتد من الغرب إلى الشرق بين ساحل المحيط الاطلنطي ووسط المغرب الأقصى .^(٢)

وقد حدد المؤرخون الجغرافيون المسافة بين فاس ومدن المغرب الأقصى ، فمن فاس إلى سبته التي تقع شمال فاس ستة أيام ومن فاس إلى سجلماسة^(٣) جنوبا ثماني مراحل ، ومن فاس إلى سلا غربا أربع مراحل ، ومن فاس إلى تلمسان بالمغرب الأوسط تسع مراحل ، فكان لموقعها هذا دور كبير في التقارب والاتصال بين فاس ومدن المغرب الأقصى والأوسط والسودان الغربي .^(٤)

ومنطقة فاس عبارة عن سهل مرتفع ، تحده الجبال من الشمال ومن الجنوب بينما تبقي جهاته الشرقية والغربية مفتوحة ، فهي نقطة لقاء بين سكان الجبال الجنوبية "جبال فازاز"^(٥) والجبال الشمالية "جبال غماره"^(٦) .

(١) محمد المنوني : ورقات ص ٤٣-٤٦

(٢) الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٣٤ ، مارمول : إفريقيا ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٣) سجلماسة : بينها وبين فاس عشرة أيام ، فهي تقع في ملتقى الطرق التجارية ، فترقب تجارة القوافل وتمدها بالاحتياجات ، ويفضل موقعها الاستراتيجي ربطت بين افريقيا من الجنوب الى شمال المغرب وأوربا عن طريق البحر المتوسط شمالا . للمزيد انظر : البكري : المسالك والممالك ، تحقيق أنريان فان ليوفن وأندي فيريا ، الدار العربية للكتاب ، ج ٢ ، ١٩٩٢ ، ص ١٤٨ ، الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الاقلاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٠ ج ١ ، ص ٥٠ ، ماى كول : الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ترجمة محمد الحمدلوى ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٦٢-٦٣ .

(٤) البكري : مصدر سابق ص ١١٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، الادريسي : مصدر سابق ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(٥) جبال فازاز : من الجبال المشهورة في بلاد المغرب ، وهوجبل تسكنه أمم كثيرة من البربر ، وهم يكسبون من الماشية ويزرع لديهم خشب الأرز العتيق ، للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

(٦) جبال غماره : تقع شمال المغرب الأقصى وهونسبة الى غماره شعب من البربر والبرانس وهم سموا باسم والدهم غماره ابن مصمودة وهم غمروا في الجبال فسموا غمار واطلق على الجبال اسمهم ، للمزيد انظر ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ، ص ٢١ .

ومنطقة فاس تشمل هضابا وسهولا يصل ارتفاعها إلى خمسمائة متر ، وإلى الشمال الغربي في هذه المدينة تقع مرتفعات "زرهون" التي يبلغ طولها حوالي ثلاثين ميلا إلى الغرب ، وعرضها عشرة أميال ، وشكلها العام جبلي ولاارتفاع الجبال المجاورة أهمية في سقوط الأمطار وتكوين الثلوج على هذه المرتفعات التي تذوب وتمتد بذلك نهر سبو بالمياه التي تروى فاس ، ومنبع هذا النهر جبال صنهاجة (بنو ورائين) .^(١)

وهكذا يمكن القول إن مدينة فاس قطب بلاد المغرب الأقصى ، ويسكن حولها قبائل البربر الذين يتحدثون اللغة العربية ، وهي حاضرة المغرب الكبرى ، فأعان موقعها على أن تشد إليها الركائب ، وتقصدها القوافل وتجلب إلي حاضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة ، لذلك فإن معظم أهلها مياسير .^(٢)

ومنطقة فاس تمثلها مجموعة من الهضاب يبلغ ارتفاعها ما بين أربعمائة و خمسمائة مترا وتربتها متنوعة حسب المناطق ، وكان لتنوع تربتها أثرا كبيرا في تنوع محاصيلها الزراعية ، ونشاط أسواق الغلال والمواد الغذائية . وتضاريسها مضطربة لكثرة الأودية التي تمر بها ، ومثل ذلك منطقة ورائين الواقع شرق فاس علي بعد ثمانية عشر ميلا وهي بلاد كلها تلال تربتها جيدة وتوجد في هذه المنطقة والي جانب المناطق الهضبية توجد مناطق تلال في شمال وغرب فاس .^(٣)

لقد اثرت البيئة الجغرافية لمدينة فاس تأثيرا كبيرا على نشاط سكان هذه المدينة ، فالإنسان ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها .

كما أدى وقوع مدينة فاس وسط المغرب الأقصى الذي اشتهر بسلاسل جبال أطلس وبواديان غزيرة بالإضافة إلى المياه الجوفية ، إلي جانب الأمطار الغزيرة التي تسقط على معظم أنحاء المغرب الأقصى ، إلى تمتع مدينة فاس بوفرة المياه بالإضافة الى تمتعها بموقع متميز بين مدن المغرب الأقصى مما جعل هذه المدينة ترتبط من خلال الطرق والمسالك بمعظم مدن المغرب الأقصى بل والأوسط . وليس أدل علي ذلك من أن موقعها جاء اختيارا واضحا متميزا له أهميته سواء من الناحية الاقتصادية (الزراعة، الصناعة ، التعدين) أو الناحية السياسية حيث يمكن الحكم القائم من السيطرة

(١) محمد مزين: فاس وباديتها، سلسلة رسائل وأطروحات كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعته محمد الخامس ، رقم ١٢ الرباط ، ج ١ ص ٣٧-٤٩ ، ورائين: تقع على مسافة ثمانية عشر ميلا الى الشرق من فاس، وهم ينتجون مقادير كبيرة من القمح ، ومراعيها ممتازة لتربية الماشية .انظر الوزان : وصف أفريقيا، ترجمة محمدحجي وآخزين ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٢٩٨ .

(٢) البكري : مصدر سابق ، ص ٧٩ .

(٣) محمد مزين: المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

علي ما حولها من مدن وبلدان ، وأخيرا يمكن القول أن هذا الموقع قد أسهم في ربطها بالبحر المتوسط وتجارته بالإضافة إلى وقوع المدينة على ملتقى الطرق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي مما أنعش أسواق هذه المدينة. (١)

فاعتدال المناخ ساعد على جذب السكان للمدينة وزيادة أعداد الوافدين إليها ، مما أدى إلى خلق احتياجات سكنية لتكفي احتياجاتهم اليومية وقد جذبت المدينة أيضا انتجار الأجانب لرغبتهم في تحقيق الأرباح الوفيرة فساعد هذا الأمر على ازدهار الأسواق وتنوعها في المدينة.

وساعدت وفرة المياه وخصوبة التربة بمدينة فاس على الزراعة . فيقول عنها أبو زرع" (لها من المحراث العظيم سقيا وبعلا عن كل جهة ، منها ماليس هو على مدينة من مدائن المغرب). فمدينة فاس يشقها نهر كبير يسمى بوادي فاس يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة، فيكثر بالمدينة العيون فالنهر يشقها نصفين ، وينشعب في داخلها من بساتين وشوارع وأسواق". (٢) وينكر ابن سعيد أن عدد عيون مدينة فاس يساوي عدد أيام السنة فكان لتوافر المياه داخل مدينة فاس أثره في قيام العديد من أنواع الزراعات. (٣)

وقد أفاضى المؤرخون في الحديث عن هذا النهر ومياهه العذبة ، وأنه من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها. (٤) فكان لتوافر المقومات الطبيعية من مياه وتربة خصبة أثره في انتشار البساتين والمزروعات والفواكه وجميع الثمار بمدينة فاس كل ذلك أدى لجذب السكان إلى المدينة وبالتالي ازدهار أسواقها. (٥)

وخاتمة القول ان البيئة الجغرافية كانت تحديا للنشاط البشري في فاس ذلك النشاط الذي نجح في الاستجابة لهذا التحدي استجابات ناجحة جعلت فاس مركزا زراعيا وصناعيا وتجاريا سجله التاريخ لهذه المدينة.

(١) الجزائى: مصدر سابق، ص ٣٦ . محمد مزين: مرجع سابق، ص ٦٠ .

(٢) الإدريسي: مصدر سابق، ج١ ص ٢٤٧، الأبيس المطرب : ص٢٣٠ .

(٣) ابن سعيد: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق اسماعيل العربي، المكتب التجارى للطباعة ، بيروت ١٩٧٠، ص ١٤١ .

(٤) مجهول: رسالة فى ذكر من اسس فاس ، ورقة ٢٢ . مجهول: الاستبصار فى عجائب الامصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، نشر وتعليق سعد زغلول ، ص ١٨٥ .

(٥) حسين مراد: فلاحو فاس فى عصر الموحدين ، ص ٦٧ .

تعد الزراعة من المقومات المهمة لنشاط الأسواق في مدينة فاس وقد ازدهر النشاط الزراعي بفضل البيئة الزراعية التي وجدت في هذه المدينة بفضل توافر مقومات هذه البيئة وهي الأرض الخصبة الصالحة والمياه العذبة ، والمناخ الملائم لأنواع معينة من المحاصيل سواء كانت محاصيل زراعية كالقمح وما شابهه أو محاصيل بستانية كأشجار الفاكهة بأنواعها .

يزيد الجغرافيون في وصف فاس وزروعها ومياهها ، فيقول صاحب كتاب الاستبصار: (مدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء ، كثيرة البساتين والمزروعات والفواكه وجميع الثمار ، ولها أقطار واسعة متصلة العمائر، وعدوة القرويين في هذه المدينة أكثرها بساتين وأشجار ومياه وعيون من عدوة الأندلسيين وكلتاها خصبة عظيمة القدر جليلة الحظ ، ويقال أن بعدوة الأندلس تفاح طو يعرف بالاطرابلسي جليل حسن الطعم والرائحة . وزاد المؤلف وصفا في فاس وأنهاها ومياهها ، بأن منبع نهر فاس من جبل في بلاد بني ورتين ورأس العين في بئر غامضة يهاب الدخول فيه).^(١)

والتي جانب النهر وفروعه توجد في فاس عيون جارية سارحة تقدر بنحو ثلاثمائة وستين يضمها السور، وربما وصلت أربعمائة ، والماء مسلط علي دياراتها ومساكنها ، أما المتخذات * فهي مستوية وبفاس العتيقة جنائن ورياض ذوات أشجار ورياحين في دور الكبراء وبيوت الأعيان ، وبلي القصبة القديمة مخازن الغلال داخلها المطامير ، وهي مجموعة في مكان واحد يستدير بها سور منبع عليه باب وخلق ، ويسمي هذا الموضع بالمرسي القديم .^(٢)

(١) مجهول: الاستبصار ، ص ١٨٨ .

* وكلمة المتخذات تعني المناطق المرتفعة التي يبدأ منها النهر، وكلمة مجبلة أي جبلية، والقصيدة تغني في السوق محمد مزين: مرجع سابق، ص ٦٠ .

(٢) البكري: مصدر سابق، ص ١٥٥ ، العمري: مصدر سابق، ص ١٨٣ . القلقشندي: مصدر سابق، ص ١٥٤ ، الوزان: مصدر سابق ص ١٨٣ البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٣ ، ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان في طبينات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شقرون، الرباط، ١٩٨٨ ص ١٨٣ . محمد المنوني: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، مقتبس من مالك الأبصار في ملك الأبرار : لابن فضل الله العمري ، مجلة أبحاث العلمي الرباط يناير ابريل ١٩٩٤ م، العدد الأول، السنة الأولى، ص ١٤٢ .

كما قام المرينيون بمشروعات مائية لحسن استخدام المياه في مدينة فاس حيث أقاموا سدوداً على وادي الزيتون في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ، لتنظيم مياه الري والتحكم فيها مما أدى لزيادة الزراعة بمدينة فاس .^(١)

وينكر المقرئزي: " إن بمدينة فاس زراعة وحرف وعمارة ، أسعارها رخيصة ونعمها وافرة وفواكهها كثيرة وفيها نقوش ودروب من الزينة ، ومياه جارية ، ومنتزهات سامية ، وجهاتها مخضرة وفي أهلها عزة ومنعة".^(٢)

وتتميز مدينة فاس بوجود بيئة زراعية جيدة، فالأراضي التي تمتد لمسافة كبيرة حول المدينة تعد صالحة لكافة أنواع الزراعة حيث تنمو الحبوب والكرام والزيتون وأنواع عديدة من أشجار الفاكهة.^(٣)

فأرض فاس الزراعية تعد من أفضل الأراضي فهي سوداء وحمراء ، لذلك تنوعت بها الزراعات من تفاح ولوز وأجاصي وزيتون وكثيرى وقراصيا وفول وشعير وذرة وعدس، كل هذه الأنواع بسبب تنوع التربة بفاس ، فنجد التربة الجبلية والتي زرع بها اللين والورد والكرم والمشمش، وتربة رطبة وزرع بها الكتان والقطنى وجميع أنواع البقول ، كما ساعد وجود التربة الرملية على زراعة اللوز والحناء أما الأرض اللينة زرع بها الأجاصى فمع تنوع التربة تنوعت المحاصيل .^(٤)

وقد صور ابن أبي زرع حسن البيئة الزراعية لهذه المدينة اذ قال : " لقد جمعت فاس بين طيب التربة ، وحسن الثمرة ، وسعة الحرث ، وعظيم بركته ، وقرب المحطب ، وكثرة عدده وشجره، وبساتين مشرقة ، ورياض مورقة وعيون منهمة ، وأنهار متدفقة منحدره".^(٥)

هكذا ساعدت البيئة الزراعية لهذه المدينة في تعدد أنواع المزروعات وأشجار الفاكهة كما أسهمت في نشأة مائة قرية يسكنها من يفلحون الأرض بالاضافة الى رعي الأغنام ، وقد اعان هذا

(١) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ببيروت، دن ، ص ٩٨ . الوثائريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ١٩٨١، ج٥ ، ص ٢٧ .

(٢) للمقرئزي : مصدر سابق ، ص ٦٢ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: مرجع سابق ص ٧٦٨٥.

(٤) ابن العوام : كتاب الفلاحة ، نشر خوسيه أنطونيو ، مدريد ، ١٨٠٢ ، ج١ ، ص ٩٠-٩٦ . ابن بصال: كتاب الفلاحة ، نشر خوسى مازية مياس بيكروسا ومحمدعزيمان ، تطوان ١٩٥٥ ، ص ٦٧ ، ٧١ .

(٥) الأبيسن المطرب: ص ٣٣٠ .

التجمع القروي في إقامة عمران حضاري باستخدام الأحجار من الجبال والتلال في بناء المساكن ،
وبهذا الأمر تنوعت الأسواق وازدهرت لتلبية الحاجات السكانية .^(١)

وقد أنتشرت زراعة الزيتون بفاس خاصة قرب عدوة القرويين كما زرعت تلال جبل زلاغ
وزرهون والجبال المطللة علي فاس من جهة الشرق. ومنطقة بني مزكدة* وبني ومود * بكميات
كثيفة ومساحات شاسعة من أشجار الزيتون .^(٢)

ويوجد من أنواع الحبوب القمح والشعير والفول والحمص والعدس والسمسم والأرز الذي يزرع
في مساحات قليلة ، وأما أنواع الفواكه فهي كثيرة مثل النخيل والعنب والتين والرمان والزيتون
والسفرجل والتفاح علي أصناف والكمثري، والمشمش والبرقوق والخوخ والقراصيا والجوز واللوز
والأترج والليمون واللبن والنارنج والزنبوع وهو الكباد والبطيخ الأصفر والأخضر ، إلي جانب
الخضروات مثل الخيار والفتق واللفت والباذنجان والقرع والجزر واللوبيا والكرنب والشمار والصعتر
وسائر البقول وقصب السكر .^(٣)

وتوجد أشجار الكافور القيصوري ، وهو أحسن أنواعه ، وثمار التفاح الطرابلسي ومن ثم فإنها
أي فاس من أكثر بلاد المغرب ثمارا وخيرا .^(٤) وزرعت في غرب مدينة فاس مساحات واسعة من
القطن والكتان وفي الحقول والسهول والهضاب المجاورة للمدينة.^(٥)

وتتل هذه المزروعات والفواكه وتنوعها علي البيئة الزراعية المزدهرة بفاس بالإضافة إلى
غناها وقد أثر ذلك في نشاط أسواق هذه المدينة فقد كان هناك أسواق خاصة بهذه المنتجات التي لا
يستغني عنها أحد من السكان . ومن الطبيعي أن يعمل في الزراعة بمدينة فاس الفلاحون الذين اهتموا
هذا العمل وتوارثوه فأجدوه سواء كانوا ملاكاً للأرض المنزرعة أو كانوا أجراء يعملون بها لحساب
أصحابها ، ويسكنون في القري بالقرب من الأرض الزراعية ومن هنا نجد عدد كبير مما لا يملكون

(١) محمد مزين: مرجع سابق، ص ٥٩، ٦٠ .

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج٢، ص ٢٣٠. العمري : مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار ، ص ١٨٠ الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٣٤ .

* بني مزكدة : هي منطقة بالقليم فاس ، وبني ومود منطقة بالقليم فاس لايفصلها عن فاس سوى النهر. للمزيد مارمول:
مصدر سابق : ص ٢٥٧ .

(٣) ابن غازي : مصدر سابق ، ص ٨ ، مارمول : مصدر سابق، ج١ ، ص ١٦٢ .

(٤) الحميري : مصدر سابق ص ٤٣٤ ؛ العمري : مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٥) إبراهيم حركات : الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الآداب ، الرباط ١٩٧٨، ص ١٣٣ .

الأرض يعملون لذي كبار الملاك أو الشركات التي تحتاج الي أيدي عاملة في مجال الزراعة أو تربية الماشية.^(١)

وقد ازدهرت الزراعة في العصر المريني في المغرب الأقصى بوجه عام ومدينة فاس بوجه خاص بفضل ما تمتع به المغرب الأقصى ومدنه من دعائم ضرورية للزراعة ، وأهمها وفرة مصادر المياه وجودة التربة وتنوع المناخ الذي كان له أثره في تنوع المحاصيل والثمار ومن الأراضي الخصبة في فاس أراضي مجسر القلع والذي يقع على مقربة من أراضي زراعية^(٢)

وقد أشار المراكشي إلي هذه الحقيقة الهامة حين قال : "وأرض المغرب أخصب رقعة علي الأرض فيما علمت وأكثرها أنهاراً مطردة أشجاراً ملقفة وزروعا وأعنايا وبها سبعة أنهار أهمها نهر سبو الذي يحيط مدينة فاس شرقها وغربها " .^(٣)

لقد اهتم سلاطين بنو مرين بالزراعة ، حيث أقطعوا كبار رجال الدولة كالقضاة وقادة الجيش، وكبار الأشيخا الإقطاعات الزراعية وكان أشرف هؤلاء علي هذه الإقطاعات سبيلا الي زيادة الإنتاج في إقطاعاتهم مما كان له أثره في زيادة المنتجات الزراعية بمدينة فاس.^(٤)

٣- الرعي والغابات :

إذا كانت البيئة الزراعية قد اسهمت في ازدهار أسواق مدينة فاس ، فإن هذه الاسواق قد ازدهرت بفضل النشاط الرعوي ووجود الغابات قرب المدينة .

أد الرعي

كان لانتشار المراعي في مدينة فاس أكبر الأثر في انتشار حرفة الرعي ، وقد وجدت المراعي حول جبل فازاز وجبل بني يازغة وجبل غمارة ، واشتغل عدد كبير من القبائل بحرفة الرعي فعملوا على تربية قطعان من الماشية سواء لهم أو لأصحابها وهم يرعونها بالأجر.^(٥)

(١) محمد فتحة : أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن السادس الي القرن التاسع الهجري بعنوان النوازل الفقهيّة والمجتمع ، جامع الحسن الثاني ، الدار البيضاء ، منشورات كلية الآداب ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٢) الوثرسي : مصدر سابق ج٨ ، ص ٥ .

(٣) عبدالواحد المراكشي : مصدر سابق ، ص ٢٤٤ .

(٤) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الاسلامي ، ص ٢٨٨ .

(٥) مجهول : الامتبصار ، ص ١٨٧ ، ابن سعيد: مصدر سابق ، ص ٥٩ ، الجزناتي: مصدر سابق ، ص ٣٥ .

وساعد على ازدهار حرفة الرعى فى مدينة فاس بالاضافة الى المراعى وفرة بعض المحاصيل الزراعية من شعير وذرة والتى استخدمت كعلف للماشية. وازدادت تربية الحيوانات بسبب تنوع السكان الذين أدخلوا طرقاً جديدة للإنتاج فعمل العرب والأندلسيين على نشر تربية الأبل والأغنام بشكل واسع وأدخلوا أنواعاً من الخيول بمدينة فاس. (١) والى جانب العرب والأندلسيين استقر عدد من اليهود فى المناطق الريفية والجبال وقد عمل هؤلاء بحرفة الرعى والإنتاج الحيوانى. (٢)

وعمل أيضاً عدد كبير من البربر فى حرفة الرعى فيوضح "ابن الأحمر" أن عدداً من بيوتات فاس قد عملوا فى الرعى كبيت بنى شبيون أحترفوا جلب الأبقار وبيع ألبانهم. (٣)

وساعدت وفرة الثروة الحيوانية فى مدينة فاس على توفير الاحتياجات الخاصة بالسكان من لحوم وألبان وأصواف بأسواق المدينة ، فكان يباع بفاس يومياً عشرون ألف بطة من اللبن الطرى والحامض. وكثر عدد دكاكين الجزارين فوصل عددهم الى أربعين دكاناً ، وأصبح لهم سوق خاص بهم وهو سوق الجزارين. (٤)

وأدى انتشار حرفة الرعى إلى توافر كميات كبيرة من جلود الحيوانات ، فأحترف عدد من سكان مدينة فاس حرفة دباغة الجلود والتى استخدموا فيها جلود الماشية والغزلان ، كما استخدمت جلودها فى الكتابة عليها لرققتها وكان لهم سوق سمي بسوق الرقاقين. (٥)

وكان لوفرة المواد المستخدمة فى الدباغة أثر كبير لأزدهار هذه الصناعة بمدينة فاس ، حيث زرع بفاس شجرة التالكوت التى استخدمت عصارتها فى دباغة جلود الأغنام وغيرها ، وأيضاً القرمزية التى استخدمت فى الصباغة وهى حشرة طفيلية تعيش على شجر البلوط ، وكان يعمل بهذه الحرفة عدد كبير من اليهود. (٦)

(١) الأيكري : مصدر سابق ، ص ١٥٣ ، محمد الطويل: الفلاحة المغربية فى العصر الوسيط رسالة ماجستير غير منشورة: كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٨٧ - ١٩٨٨ ، ص ٦٣ .

(٢) عبدالرحمن بشير: اليهود فى المغرب العربى (٢٢-٤٦٢ هـ / ٦٤٢-١٠٧٠ م) ، ص ٨٦ .

(٣) ابن الأحمر: مصدر سابق ، ص ٢٤ .

(٤) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٤- ٢٣٧ .

(٥) محمد المنونى : تاريخ الوراقة ، ص ٣٤ .

(٦) عبدالرحمن بشير : مرجع سابق ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، عبدالعزيز العلوى : صناعة النسيج ، ص ٥٠ ، محمد الحبيب ابن الخوجة: يهود المغرب العربى، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣ ، ص ٧١ .

وزادت أهمية الدباغين بمدينة فاس ، فكان عدد منهم يعد الجلود للصنع من جلود الماعز والخراف والأبقار واللغزلان والجمال . وكان لكثرة عدد المدابغ في فاس أثره في قلق السكان من روائح الجلود وتلوث المياه ، فأخرجت هذه المدابغ الى أرباض المدينة .^(١)

وبعد دبح الجلود كانت تنقل الى أصحاب الحرف المختلفة ، فهناك صناعات العدة والسروج للدواب والخيول ، وصناعات الحفائط والكتب وصانعو الأحذية ، وكان لذلك أثر في ظهور صناعة التطريز .^(٢) كما انتشرت صناعة القرب التي كان يحمل فيها المياه وهذه القرب مخططة خياطة جيدة.^(٣)

وأعان تربية الأغنام على نطاق واسع بمدينة فاس في ازدهار صناعة المنسوجات الصوفية ، فاشتملت فاس على خمسمائة وعشرين دار للنساجين ، ومائة وخمسين دكانا لصباغة الغزل ، فوجد بفاس سوق للأقمشة الصوفية وكان يضم مائة دكانا.^(٤)

هكذا ارتبطت أعداد كبيرة من الأسواق بحرفة الرعي حيث نجد سوق الجزارين ويضم أربعين دكانا، وسوق صانعي الدلاء الجلدية ويضم أربعة عشر دكانا ، وسوق الركابات والسروج والأحزمة ويضم أربعين دكانا ، وأسواق الخرازون الذين يصنعون أحذية الأطفال ، وبلغ عدد نكاكبيهم نحو خمسين دكانا ، واحتل الخياطون ثلاثة أحياء بمدينة فاس ، وتجار الكتان وتجار الأقمشة النسائية حيان وكانوا من أغنى تجار مدينة فاس .^(٥)

ثانيا: الغابات

انتشرت الغابات على مقربة من مدينة فاس فكانت تحتل ثلث جبال غمارة وتلثي جبال فازاز، وتعدت ذلك لتشمل جزءا من سهل سايس* والمناطق المحيطة بفاس .^(١)

(١) ابن أبي زرع :الانيس المطرب، ص ٤٨ ، الجزائى: مصدر سابق، ص ٤٤ ، روجيه لوطورنو : فاس فى عهد بنى مرين، ص ١٣٣ .

(٢) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٣٤ ، روجيه لوطورنو : مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

(٣) مارمول: مرجع سابق ، ص ١٥٤ ، روجيه لوطورنو : مرجع سابق، ص ٧٤ .

(٤) الوزان: مصدر سابق ، ص ١٩٢، ١٩٣ ، عبدالعزيز العلوى صناعة النسيج ، ص ٥٠ .

(٥) الوزان: المصدر السابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٩ . محمد الطويل: مرجع سابق ، ص ٢٩ .

*سهل سايس :هو السهل الممتد من فاس ومكناس الفاصل بين سلسلة جبال الأطلس المتوسط ، وسلسلة جبال الأطلس الساحلى وكانت تسكنه قديما قبائل بربرية مثل أوربة ، واليوم تسكنه قبائل عربية مثل حميان ، وأخرى بربرية مستعربة مثل بنى عياش ، وتربته من أخصب تربات المغرب ويتميز باعتدال أرضه وكثرة مياهه . للمزيد انظر ابن القاضى : مصدر سابق ، ص ٢٨ .

(١) المقدسى: صورة الأرض ، ص ٢٢٩ ، لوطورنو: مرجع سابق، ص ١٢٨ .

وقد ساعدت هذه المساحات الكبيرة من الغابات على نمو كثير من الأشجار، مثل شجر الأرز والبلوط وشجر الزيتون ، فانتشرت غابات الزيتون شمالي المدينة الى نهر سبو ثم نهر ورغة وحتى سفوح الجبال التي تطل على البحر المتوسط ، واستخدمت أخشاب الزيتون في بناء المنازل من شبابيك النواذف والاقفال . (١)

واستخدم حب الزيتون في صناعة الزيت فكان حب الزيتون ببجيرة (٢) فاس يباع بخمسين ألف دينار واستخدم هذا الزيت في إنارة الجوامع بمدينة فاس كجامع القرويين . فكانت معاصر الزيت تقوم على مقربة من أبواب فاس حيث كانت تحمل أحمال الزيتون ، وتدخل منها لقربها من غابات الزيتون والتي كانت أكثر عددا شمالي مدينة فاس . (٣)

وبجانف أشجار الزيتون وجدت أشجار الأرز ، وهو من أهم الأشجار بمنطقة جبال غمارة وسفوح فازاز وبنى بهلول جنوبي مدينة فاس ، فيعتبر خشب الأرز من أطيب أخشاب الأرض فيعمر العود منه في سقف البيت ألف سنة لا يعفن ولا يسوس ، وكان يصنع منه الشبابيك فكان يحمل الحطب الكثير منه الى مدينة فاس من سائر جهاتها ، فيدخل للمدينة منه كل يوم ما لا يحصى كثرة . (٤)

كما وجد بمدينة فاس شجر البلوط ، ففي كل يوم يوجد على أبواب مدينة فاس أحمال من حطب البلوط والفحم ما لا يوصف كثيرة . (٥)

ساهمت غابات فاس وماحوته من أشجار في ظهور صناعات عديدة من الأخشاب ، وعدد من الحرف المرتبطة بها فوجدت بفاس نكاكين النجارين الذين يصنعون عجلات العربات والطاحونات لرفع الماء ، والطبليات المستديرة والرفوف والصناديق لحفظ الملابس والأثاث ، ومن ثم كانت هناك فئة من الصناع المساكين الذين يصنعون المكائس الصغيرة من أشجار النخيل القصيرة ، وصانعو البراميل لحمل المياه على شكل الدلاء . (٦)

(١) ابن غازي: مصدر سابق ، ص ٦ ، ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٦٦ .

(٢) البحيرة: هي عبارة عن مساحة كبيرة من الارض واجرى اليها الماء . للمزيد انظر حسين مراد : فلاحو فاس ، ص ٦٩ .

(٣) مجهول : رسالة في نكر ، ورقة ٤٥ ، القلقشندي: مصدر سابق ، ص ١٥٤ . العمري: مصدر سابق ، ص ١٩٤ ، الجزنائي: مصدر سابق ص ٣٥ ، لوطورنو : مرجع سابق ، ص ٧٤

(٤) Martin (j) et autres Ge`ogra phiedu maroc,paris 1967 ,p30 -31

(٥) مجهول: الاستبصار، ص ١٨٧ ، الحنيري: مصدر سابق ، ص ٢٣٥ ، ابن ابي زرع: مصدر سابق، ص ٣٦ ، الجزنائي: مصدر سابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) الوزان: مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، مارمول : ج ١ ، ص ١٥١ ، لوطورنو : نفسه ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

ولأهل فاس اليد الطولى فى صناعة المخروطات الخشبية ، وقاموا بصناعة القباب من خشب التوت الأسود والأبيض وخشب الجوز والليمون ، ووجد عدد من الدلالين وهم متخصصون فى حمل وكيل الزيت عندما يباع بالحمل . (١)

لقد ساعدت كثرة الغابات حول مدينة فاس على توفير ثروة خشبية ضخمة للمغرب الأقصى عامة ولمدينة فاس خاصة فى العصر المريني مما أدى إلى توفير الاحتياجات الخاصة بالسكان من مصنوعات خشبية ، إلى جانب الزيوت التى صنعت من ثمار هذه الأشجار فى أسواق هذه المدينة مما ساعد فى ازدهار تلك الأسواق .

٣- وفرة المواد الخام المعدنية

توافرت بمدينة فاس الكثير من المواد الخام المعدنية التى استخدمت فى العديد من الصناعات، والتى أسهمت فى ازدهار أسواق فاس .

تفوقت مدينة فاس على غيرها من المدن باستخراج الملح على بعد ستة أميال منها ، حيث توجد الملاحه فى مساحة ثمانية عشر ميلا أولها فى مجشر الشاطبي وآخرها بوادي مكس وفى هذه الملاحه أصناف من الملح لا يشبه بعضها البعض فى الألوان والصفات ، وعلى هذا يتوفر الملح بمدينة فاس بكميات كبيرة ، حيث يباع كل عشرة أصوع بدرهم أقل أو أكثر بحسب ما يجلب ومعدن الجبص والصلصال وأنواع الحجارة والرمال على اختلاف أنواعها. وكان الملح لكثرة استخراجه من هذه الملاحه يتوافر أكثر من حاجة المستهلكين ، حتى يأتي وقت يباع الحمل بدرهم وأحيانا لا يجد بائعة من يشتريه لكثرتة ومن ثم تزدهم به دكاكين التجار فى أسواق فاس. (٢)

كما توجد فى فاس أيضا رمال تصلح لصناعة الزجاج ، فكثرت الأفران لعمل الزجاج التى وصل عددها إلى أكثر من ألف فرن موزعة فى شوارع وأزقة المدينة ، منها أحد عشر موضعا كبيرا لصنع الزجاج . (٣)

(١) العمرى : مصدر سابق ، ص ١٩٦ ، انوزان : المصدر السابق جـ١ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) ابن القاضي : مصدر سابق ، جـ١ ص ٤٣ ، ٤٤ . الجز نائي: مصدر سابق ، ص ٢٥ .

(٣) مجهول: مخطوط ذكر من أسس فاس ، ورقة ٤٥ .

كما تم استخراج الفضة والنحاس والحديد قرب فاس ، التي اشتهرت بنحاسها الأصفر ، والذي يحمل الى جميع الأفاق ، فيوجد اثنتى عشرة دارا لسك النحاس المستخرج من مناجم النحاس بالجبال المجاورة للمدينة. (١)

وساعدت هذه المعادن على وفرة المواد الخام اللازمة لصناعة الحلى والمسكوكات، والموازين والمكاييل فوجدت أسواق الحدادين التي عملت على توفير احتياجات المجتمع ، فكان لاهلها اليد الطولى فى صناعة المخروطات النحاسية ، وتوافرت المصنوعات الحديدية من مسامير وسيوف والركابات ، كل ذلك ساعد على ظهور حرف أخرى ارتبطت بالحدادة وهى النجارة والبناء . (٢)

ثانيا: المقومات البشرية:

اذ كانت المقومات الطبيعية هي الأساس لتعدد الأسواق وأزدهارها فى مدينة فاس فهى الأساس ايضا لنشاط العنصر البشري ، بعد استعراض المقومات الطبيعية التى أسهمت فى ازدهار أسواق فاس نعرض هنا المقومات البشرية التى أسهمت أيضا فى هذا الأزدهار المتمثلة فى الآتى :

أ - الوضعية السياسية لمدينة فاس :

ملك الأمير أبوبكر بن عبدالحق مدينة فاس مع أواخر شهر ربيع الأول من عام (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) ودخلها بعد حصار لمدة عام فبايعوه أهلها بالرابطه عند باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه عبدالله القشتالى ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباسى من القصبه بعياله وأولاده ، وبدخول الأمير أبى بكر مدينة فاس استقامت له أمور المغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة، وتهدنت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة. (٣) ثم خرج ابوبكر من مدينة فاس سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م إلى معدن العوام من بلاد فازار، واستخلف عليها مولاه السعود بن خرباش الحشمى ، فأجتمع نفر من اشياخ فاس إلى قاضيها أبى عبدالرحمن المغيلى، وتأمروا على خلع الأمير أبى بكر وقتل مولاه السعود ، وأن يبعثوا بيعتهم الى المرتضى ، ولما وصل الخبر الى الأمير أبى بكر شدد الحصار على مدينة فاس عام (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) فبعث أهلها للامير يطلبون منه الأمان والعتو مقابل مائة الف دينار. (٤)

(١) مجهول: الاستبصار ص ١٨١. الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

(٢) العمرى: مصدر سابق ، ص ١٩٦، الجزنائى: مصدر سابق ، ص ٣٣، محمد المنونى: وصف المغرب ، ص ١٤١ .

(٣) ابن أبى زرع: مصدر سابق ، ص ٢٩٣، ٢٩٤ .

(٤) ابن أبى زرع: مصدر سابق ، ص ٢٩٤، ٢٩٥ ، ابن خلدون: مصدر سابق ، ص ٢٣٠، ٢٣١ .

أصبحت فاس حاضرة بني مرين حين دخلها المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق في عام (٦٥٧-٦٨٥ هـ/١٢٥٨-١٢٨٦ م) فانتعشت المدينة في عصره هو وخلفاؤه . وزاد عمرانها بمدينة ألحقت بها تعرف بالمدينة البيضاء المعروفة بفاس الجديد . التي اتخذها دارا للإمارة ، وقد عزم المنصور بالله أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، بعد أن تمهدا ملكه في المغرب أن يختط بلدا ينسب إليه ويتخذ داراً لملكه ، ومركزا لسلطانه يسكنه هو وحاشيته وأولياؤه ، وسمح للناس باختطاط الدور والمنازل به وأجري فيها المياه الي القصور وأقام القناطر بطرقاتها ، ولما أتم بناء سور مدينة فاس الجديد أمر في عام ٦٧٦ هـ/١٢٧٧ م ببناء الجامع الكبير بفاس الجديدة للخطبة ، وتم البناء في رمضان عام ٦٧٧ هـ ١٢٧٨ م حيث أقيمت فيه الصلاة . (١)

وهكذا ازدهرت فاس عاصمة بني مرين بما اشتملت عليه من قصور للحكام والوزراء والتجار والأعيان والمدارس والفنادق ، وكل ذلك أحاط بقصر المنصور بالله الذي كان مشرفا علي محل خروجه . وإلى جانب ذلك أبقيت الحمامات ودور الصناعة والسفن الصغيرة التي تجري في النهر، فالمرينيون اهتموا بالحضارة والعمران ، ويبدو هذا واضحا من خلال المساجد والقصور الشامخة . أصبحت فاس إذن عاصمة دولة بني مرين ، فيها مقر الحكم والإدارة ومنها تخرج الرسل والسفارات والجيوش ، ومنها تخرج السلع والمصنوعات واليها ترد الخامات والبضائع والتجار، وتزدهر بها الزراعات والأشجار وتعمر بها المحلات والأسواق . ومع استقرار الملك لبني مرين، بمدينة فاس وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها ، على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر . (٢) غربا بقبليه أولها "المدينة البيضاء" وتعرف بالبلد الجديد ، وبنائها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥ هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) وما استقل لهم سلطان ولا استقر له من عزيز الملك أوطان ، ثم مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح بناها ولده أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف (٧١٠-٧٣١ هـ/١٣١٠-١٣٣١م) بناها إلي جانب البيضاء والتي جعلها مسكنا لليهود ، وربض النصراري المتخذة لسكن الطائفة

(١) العمري: مصدر سابق ، ص ١٧٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصور الإسلامي،الإسكندرية ص ٤٤٠.

(٢) وادي الجواهر : هو يعلو مدينة فاس بنحو ستة أميال ، وهو يخرج من نحو ستين عنصرا جلفا ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة المغرب ، وينحدر نحو البلد فينقسم في داخلها علي جداول كثيرة فينشق أكثر جهاتها ويتشعب داخلها فيفتتح به في مساجدها وسقايته ودورها وأرجائها وحماماتها وتسقي جناتها ، وأمر أمير المسلمين أبو سعيد بناء دار له في هذا الوادي للزفة به ، حيث كان يعجبه كثيرا وسمي وادي الجواهر حيث يكثر به الحدف النمين . مجهول: مخطوط ، رسالة ذكر فاس ، ص ٤٤٠، ٤٤٣.

الفرنجية المختصة بخدمة السلطان والذي بني بالمرسى القديم خارج باب الشريعة ، ويطلق علي هذه الثلاث المتخذات اسم فاس الجديدة وكلها على ضفة الوادى الغربية . (١)

وقد اعتمد المرينيون على الجيوش التي أعدها إعدادا جيدا للحفاظ على ملكهم ، وقد ارتبط جنودهم بالقبائل ، مثل بني عسكر ، وبني وطاس ، وبني تنالفت، وبني يرينان ، وقبائل من العرب كثيرة منهم بني حسان والعاصم وبني جابر ورياح وبنو سالم إلى جانب الإفرنج ، وعلوج المماليك ، والأندلسيون والوصيفات الخاصون بالسلطان يسكنون حواليه وينزلون في السفر إلى جوانب محلته دائرين في جملة نواحيه يقال لهم أهل الدوار . (٢)

ومع تولي بني مرين أمور الحكم في مدينة فاس عملوا علي تأمين السبل وتمهيد الطرق ، وعمل علي تعمير طرق المسافرين من حضرة فاس الي مراكش والي تلمسان (٣) والي سبتة (٤) وغيرها من البلاد فأقاموا الرتب (وهي خيام بأمر سكانها علي مقدار اثني عشر ميلا يسكنها) أهل الوطن ويجري لهم علي ذلك إقطاع من الأرض يعمرونها علي قدر الكفاية ثوبا ، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون . (٥)

اهتم حكام بنو مرين بالاستقرار السياسي لمدينة فاس ، فعملوا على فرض الأمن ، وأهتموا بالأمور الاقتصادية وزيادة العمران وأتشاء المساجد والمدارس . فمع تولي السلطان يعقوب بن عبدالحق أمور الحكم في فاس عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨ م) عمل على فرض الأمن بالمدينة وكثرت الخيرات

(١) ابن أبي زرع : مصدرسابق ، ص ٢٢٢ ، ٢٩٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج٧ ص١٩٥ ، محمد المنونى : ورقات، ص٤٩-٥٠ .

(٢) محمد المنونى: ورقات، ص ٥٤٨ ، وكلمة الدوار تطلق في الاستعمال الامازيغى على مجموعة من سكان الخيام الذين كان يضمهم مكان واحد ، والغز جماعات من أتراك مصر وقد دخلوا شمال افريقية على عهد الموحدين .

(٣) تلمسان: هي قاعدة بلاد المغرب الاوسط ، وهي كانت دار مملكة زناته ويقطن حولها كثير من قبائل البربر، كثيرة الخصب والرخاء يقصدها التجار ومنها يمافرون الي سجلماسة وبين تلمسان وفاس مسيرة ثمانية ايام ، ويجدها من الغرب نهرزاء، ونهر الملوية ومن الشرق نهر الواد الكبير، وصحراء نوميديا من الجنوب وكانت تدعى فى القديم القيصرية، واحتفظ بنوزيان بالسلطة بها لمدة ثلاثة قرون وتعرضوا لمضايقات بنى مرين، وهي تقع فى ملتقى الطرق التجارية فتجارو مع السودان الغربى للمزيد انظر البكرى: مصدرسابق ص٧٦ ، ٧٧، الحميرى: مصدرسابق، ص١٣٥، ١٣٦ ، الوزان : مصدرسابق ، ص ٣١٧ ،

(٤) سبتة: مدينة كبيرة جدا، وأطلق عليها الرومان سيفيبتاس، ويوجد فيها كثير من الصناعات والأدباء وعمالها مهرة فى صناعة النحاس ومحط قوافل العصير والحريز والكتان . للمزيد انظر: الوزان : مصدر سابق، ص٣١٨ .

(٥) ابن مرزوق: مصدر سابق، ص٤٢٩ . ابن أبي زرع : مصدرسابق ، ص ٢٩٤ .

ورخصت الأسعار، حيث يصف لنا ابن أبي زرع الحالة الاقتصادية بمدينة فاس "قبيح الدقيق في مدينة فاس الربع بدرهم ، والقمح ستة دراهم للصفحة ، والفول وجميع القطنى مالها رسوم ، ولا يوجد من يشتريها ... " .^(١)

وعمل السلطان يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق على تأمين الطرقات ، وأزال الرتب والقبالات والمكوس ، فأنجبرت أحوال الناس ورخصت الأسعار في جميع الأقطار .^(٢)

واهتم بالمشروعات الاقتصادية فقام باستغلال مياه وادى فاس والاستفادة منه في سقى البساتين ، وذلك بفضل خبرة المهندس الاندلسى ابن الحاج ، فاستعملت النواعير على نطاق واسع .^(٣)

ومع تولي السلطان ابي سعيد الحكم في فاس قام بضبط أمرها، وصلح حال الناس وكثرت الخيرات ، واهتم بالمشروعات الاقتصادية فقام ببناء القنطرة الكبرى عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م والتي عليها سوق باب السلسلة فبنيت الحوانيت على جانبيها ، وبنى سوق الصباغين .^(٤)

كما اهتم السلطان أبو عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩ هـ / ١٣٤٨-١٣٥٨ م) بتنظيم الري بالنواعير التي كثرت بفاس أيام حكمه فكان بفاس وحدها ستمائة رعى تدور الماء .^(٥)

لقد شهد عهد السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢ هـ / ١٣٣١-١٣٥١ م) نشاطا عمرانيا واقتصاديا شاملا فيذكر أبو الحسن بن مرزوق التلمساني عن عمران فاس بأنه " اخبرني الفقيه الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن فرحون اليعمري ، بأن مدينة فاس مامرت في بلاد المغرب بسقايه ولا مصنع من المصانع التي يعسر فيها تناول المياه للشرب والوضوء فسأنت عنها إلا وجدتها من إنشاء السلطان ابو الحسن رحمه الله " أما القناطر فلا يخفي فيها فقد عمل فيها الأعمال العجيبة فقنطرة وادي رداة وقنطرة بني يسيل وقنطرة الوادي بداخل فاس وهذه الأمور هي التي يشترك في الانتفاع بها القوي والضعيف والبادي والحاضر، وهذه الآثار المتعددة لم تعهد لملك قبله في سالف الأزمان فكانت من العوامل التي ساعدت على جذب السكان لمدينة فاس .^(٦)

(١) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٠٢

(٢) ابن ابي زرع : مصدر سابق، ص ٣٧٤، ٣٨٤ .

(٣) ابراهيم حركات : الحياة الاقتصادية في العصر المريني . ص ١٣٢ .

(٤) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٩٧، ٤١٤ .

(٥) القلقشندى : مصدر سابق ج٥ ، ص ١٥٥ .

(٦) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤١٧ ، ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، ج٢ ، ص ١٦٢

لقد ادى اهتمام الحكام المرينيون بإقامة سدود على وادي الزيتون في القرن ٨ هـ / ١٤ م الى تنظيم مياه الري والتحكم فيها مما أدى الى زيادة الزراعة وتوفير السلع الزراعية بمدينة فاس ، كما قاموا باخضاع أهم المنافذ التجارية ، كسجلماسة التي كان أخضاعها يمثل أمرا حيويا للمرينيين على المستوى الاقتصادي بما يوفره ذلك من إمكانيات لتصريف السلع المغربية نحو السودان وأوربا . (١)

كما عمل سلاطين بنومرين على تنظيم التجارة الخارجية والداخلية ، فقام أبو الحسن عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ بعقد معاهدة سياسية تجارية مع وفد من مملكة ميورقة ، وسمح لرعايا ميورقة بالتجارة في المغرب ، وعقد أيضا ابوعنان المريني معاهدات مع دول البرتغال وقشتالة وأرغون وميورقة وصقلية وجنوة ، وكان لذلك أثره في التعاملات التجارية ، ومن ثم أهتموا بالفنادق التي ينزل بها هؤلاء التجار وقاموا بالإشراف عليها وعلى الأسواق . (٢)

كما اهتم المرينيون بالمنشآت التعليمية والدينية وغيرها والتي جذبت طلاب العلم والعلماء لمدينة فاس ، فتسابق حكام تلك الدولة على انشاء المدارس والخزائن العامة ، فأنشأ السلطان يعقوب بن عبد الحق أول مدرسة بمدينة فاس عام (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) وهي مدرسة الحلقويين وأطلق عليها بعد ذلك الصفارين والحق بها خزانة كبيرة للكتب . (٣)

وكان مفضل بن محمد بن الدلاي العزري المرى (٤) من أشرف على بنائها ، فهي تقع على مقربة من جامع القرويين . (٥) وأمر ببناء المسجد الجامع عام (٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م) وقد أتم هذا الجامع بالامتزاج الواضح بين الفن المغربي والفن الأسباني . (٦)

وكان للسلطان ابو سعيد المريني فضل كبير في بناء المدارس حيث أمر ببناء مدرسة فاس الجديد عام (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) ورتب للطلبة المرتبات ، وحسب عليها الرباع والمجاشر . (٧)

(١) إبراهيم حركات : الحياة الاقتصادية ، ص ١٣٢ . مصطفى نشاط : جوائز من المسكوت ، ص ١٩٤ .

(٢) محمد المنوني : وراقات ، ص ١٤٣ .

(٣) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ١٦٢ . فيرجيليو مارتينيز اينامورانو : المعرفة والقوة والمدارس في زمن ابن خلدون ، ترجمة محمد عبدالغنى ، المعهد الاقليمي لتثنية البالغين ، مائة ، ص ٣٥٢ .

(٤) مفضل بن محمد الدلاي العزري المرى من أهل المرية ، ورحل الى المغرب فولاه يعقوب بن عبدالحق النظر على صاحب الحسبة وصاحب الشرطة ، وقام بالإشراف على بناء مدرسة الحلقويين . للمزيد ابن القاضى : جذوة الاقتباس ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(٥) ابن أبى زرع : الخيرة ، ص ١٦٢ ، الجزئى : مصدر سابق ، ص ٨١ .

(٦) محمد المنوني : وراقات ، ص ٢٨ .

(٧) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤١٢ .

ومدرسة جامع الأندلس عام (٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) ومدرسة العطارين عام (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) إزاء جامع القرويين ، والتي تم بناؤها على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار. (١)

٢ - النمو السكاني "الديموجرافي":

أنقسمت مدينة فاس منذ نشأتها الي عدة أحياء في كل منها جماعات وقبائل متقاربة ، ومع تطور المظهر الحضاري والعمراني للمدينة تطور عدد السكان وازدادت أعدادهم وتنوعت وظائفهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومنذ التخطيط العمراني الأول في مدينة فاس ، كانت عناصر السكان تتخذ مكانا معيناً للسكني والتعمير .

ويذكر صاحب الأنيس المطرب (٢) حينما يذكر القبائل البربرية الواردة علي فاس للسكني والاستيطان يذكر من جملتها: صنهاجة ولواته ومصمودة واشنخين وأصبحت منازل هذه القبائل تحمل أسماء نازليها من القبائل ، ومع مرور الأيام كونت هذه الأعلام التاريخية حارة لواتة وحارة صنهاجة وحى المصمودة ودرج أوربة المعروف الآن بالوربية وحى اشنخين. (٣)

كما أستقر العنصر العربي في مدينة فاس ، حيث أنهم وفدوا في عهد مؤسسها العربي العلوي إدريس بن إدريس بأعداد كبيرة قدمت من بلاد افريقية والأندلس والعراق. (٤) وهاجرت العديد من بطون بني هلال وبني سليم إلى مدينة فاس الذين صاهروا اهل هذه المدينة وأصبحوا جزءاً منها. (٥)

ويذكر " ابن صاحب الصلاة " أن باحواز فاس من عرب بني رياح وبني جشم وبني عدي وقبائلهم واعداد كبيرة يضيق بها الفضاء. (٦)

(١) ابن مرزوق: مصدر سابق ، ص ٤٠٥ ، الجزائى: مصدر سابق، ص ٨١ ، السلاوى: الانقصاصا جـ ٣ ، ص ١١٢ ، ابراهيم حركات: مرجع سابق جـ ٢، ص ٤٣ ، نفولا زيادة: أفريقيات ، دراسات فى المغرب العربى والسودان العربى نشر رياض الريس الطبعة الاولى ، ١٩٩١ ، ص ١١٣ .

(٢) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ٢٦، ٢٧ .

(٣) ابن القاضي : مصدر سابق ، ص ١٩ . وابن جعفر الكتاتني : سلوة الانفاس ومحادثه الأكياس بمن آقبر من العلماء بفاس ، ص ٣٥٥ . عبد القادر زمامه : معالم وأعلام من فاس القديمة ، مجلة البحث العلمى ، العدد الثالث عشر ، السنة الخامسة ، يناير ١٩٦٨ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) ابن عذارى: مصدر سابق، جـ ٢، ص ٧٧ ، ابن ابى زرع : المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٣٩ .

(٥) عبد الواحد المراكشي : مصدر سابق ، ص ٤٤٣ وعز الدين موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجري ، دار المغرب الإسلامى ببيروت، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣ ص ٩٣

(٦) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة علي المستضعفين ، السفر الثاني تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت دار الأندلس للطباعة ، ١٩٦٤ ، ص ١٤٤ .

ويقول ابن خلدون أن عرب الخلط وسقيان وبني جابر وهم من بطون جشم وقبيلة رياح. وقد قاوم هؤلاء العرب المرينيين قبل دخول مدينة فاس فكانت لهم وقائع وحروب مع بني مرين. (١)

واختلاط القبائل العربية والبربرية في منطقة فاس واضح فيذكر "ابن الأحمر" بيت السلالجي بيتهم بيت ثروة وجاه وفقه ، وهم من العرب القسيسين ومنهم الفقيه السلالجي المتوفي بفاس ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م وأيضاً بيت بني الخولف وهم عرب صنهاجيين . (٢)

ونجد أن الأندلسيين قد وفدوا على مدينة فاس والمغرب مع كثرة الإضطرابات التي حدثت بقرطبة ومع انحلال الدولة الاموية في مطلع القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، فرأى عدد كبير من العلماء والفقهاء من كل طبقة انه لا بد من الفرار فنزل أكثرهم بمدينة فاس. (٣)

كما هاجرت جاليات أندلسية الى فاس بسقوط المدن الأندلسية الكبرى وخاصة بلنسية (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) فمن شرق الأندلس اتجهت الهجرات الى غرناطة ، ومنها إلى المغرب وخاصة فاس. ومن أهم من سكن مدينة فاس من هذه الجاليات الأندلسية بيت بنى الآبار وأولاد الزريعي . فالأندلسيون كان لهم دور فعال في مجالات شتى ومنها الزراعة حيث نقلوا العديد من الحاصلات الزراعية إلى المغرب كغرس أشجار الزيتون ، وأشجار التوت التي أعتمدوا عليها في تربية دودة القز وأنواع عديدة من الفاكهة كالعنب والتين والتفاح والخوخ . (٤)

كما تفوقوا في تخطيط البساتين وساهموا في تطوير بعض التقنيات الخاصة بالرعي ، فكانت أول ناعورة بفاس لتنظيم الرعي بواسطة المهندس الاندلسي أبو عبدالله محمد بن الحاج الأشبيلي (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) وذلك في عهد السلطان ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني .

(١) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٧ .

(٢) ابن الأحمر: بيوتات فاس ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، المغربي : الجمان في اخبار الزمان ، ص ٢٠٣ .

(٣) المقري : أزهار الرياض في اخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف ، ١٩٣٩ ، ج ٢ ، ص ٣٩١ وللمزيد انظر ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموضوع والصلة : السفر الأول القسم الأول ، ص ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ . ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٣٨٢ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٦ ، ص ٧١١ . الكتاني : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ٤٦٧ ، أمل ربيع اسماعيل: الأندلسيون في المغرب الأقصى في عصر بني مرين (٦٦٨ - ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩ - ١٤٦٥ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ١٠٨ .

وعملوا في تقطير عصارة الزهور وتزويقها لاستخراج العطور. (١) هكذا أحدث الاندلسيون رواجاً اقتصادياً باستقرارهم في هذه المدينة كان تأثيره واضحاً في ازدهار أسواق هذه المدينة .

ومن العناصر السكانية التي نزحت الي مدينة فاس وكانت أعدادهم كثيرة العنصر السوداني، وقد تصاهر هذا العنصر مع السكان الموجودين بالمدينة ، واستخدموا في البلاط الملكي فكانوا يقومون بالطهي وعمل الحلوى وأستخدموا كجوارى لجمالهن. (٢)

كما وجدت عناصر من الأتراك بمدينة فاس نزحوا منذ عهد الخليفة الموحدى ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عام (٥٧٤هـ / ١١٧٨ م). (٣)

والراجع أن أعداد السكان بهذه المدينة قد كثرت في العصر المريني عن العصور السابقة لهذا العصر، خاصة بعد أن اتخذها المرينيون حاضرة لدولتهم ، بالإضافة الى التوسع العمرانى لهذه المدينة في هذا العصر الذى شهد بناء فاس الجديد والملاح وريض النصارى . فتوافد العديد من الأسر المغربية من كافة المدن للإقامة بها يشدهم الى ذلك فرص العمل فى الإدارة أو فى كافة الأنشطة السياسية . وجدت العديد من الأحياء الخاصة بالسكان بمدينة فاس ومنها :- حي اشنخ عالم بربري قديم سمي به هذا الحي من أحياء فاس منذ عهد التأسيس ، ونجد ذكره عند مؤرخي فاس الذين اهتموا بترجمة أعلام فاس ومعالمها ، وقد عرفه المؤرخون القدامى فأننا نجده علما علي قبيلة بربرية ، دخلت مع القبائل البربرية الأولى مدينة فاس للسكني بها منذ عهد التأسيس ، فسكنت هذا الحي بالذات وحمل هذا الاسم عدة قرون . وموقع حي اشنخ الآن من مدينة فاس فهو ما يجاور جامع الأندلس العتيق جهتي الشرق والشمال ، كما إن المدرسة المرينية المعروفة بمدرسة الصهريج تقع فى هذا الحي وأيضاً باب الجنائز من مسجد الأندلس . وتجاور قبيلة مصمودة هذا الحي من الشرق ، وقبيلة صاريوه من الشمال كما يوجد في فاس حي يسمى حي "ازقور" وأيضاً يوجد حي صاريورية وهو اسم بربري وسكنه في البداية بني بازغة ، وسميت منازلهم باسمهم وهو مسمى الآن بحي "القلعة" ويوجد به زاوية تحضريت المرينية وسوق الجزائرين ، كما ضمت فاس عدة أحياء أخرى مثل حي الجيزبين علي اسم قبيلة بهذا الاسم وحي الكغاطين الذى اشتهر سكانه بضاعة الورق ، وحي اغلان الذى سكنته الطائفة اليهودية منذ التأسيس. (٤)

(١) النكالى: الإتحاف الوجيز ، ص ٦٤ ، أمل اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(٢) البكرى: مصدر سابق ، ص ١٥٨ ، مجهول: الاستبصار ، ص ٢١٦ ، ابن عذارى : مصدر سابق، ص ٢٣ . حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية فى المغرب والاندلس، ص ٣٢٢ .

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق ج٦، ٣٧١ .

(٤) عبدالقادر زمامة : مرجع سابق ، ٨٦ ، ٨٨ ، صاريوه من القبائل البربرية التي سكنت فاس منذ عصر التأسيس

وبلغت مدينة فاس من العمارة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب فى العصر المريني . فاذا كان الاحصاء الذى تم فى عهد المنصور الموحدى وولده محمد الناصر ذكر أن عدد مساجدها سبعمائة وخمسة وثمانون ودور الوضوء اثنان وأربعون والسقايات ثمانون والحمامات ثلاثة وتسعون ، وأرعى الماء أربعمئة واثنيتين وسبعين ، ودور السكنى تسعة وثمانون ألفاً ومئتين وستة وثلاثين والمصارى تسعة عشر ألفاً وإحدى وأربعين ، والفنادق أربعمئة وسبعة وستين ، والحوانيت تسعة الاف واثنان وثمانون ، وقيساريان ، واحدة بكل عدوة منهما، وداران للسكة واحدة بكل عدوة منهما والترابيع والأطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وستون ، ودور الصباغ مئة وست عشرة دارا ، ودور سبك الحديد والنحاس اثنتى عشرة ، وكوش الجير مئة وخمس وثلاثون وأفران الخبز الف ومئة وسبعين. (١)

ومن خلال احصاء مساكن مدينة فاس من (ديار ومصريات *) والتي بلغت تسعة وثمانين الف ومئتى وست وثلاثين دارا ، وتسع عشرة ألف وواحدى وأربعين مصرية ، يوضح لنا عدد سكان فاس والذى وصل آنذاك الى حوالى أكثر من ٢٠٠ الف نسمة ، فى عهدالموحدين فإن العدد زاد فى عهد المرينيين ، فبين لنا هذا التكمس السكاني فى مدينة فاس فى هذا العهد ، وبالتالى زيادة النشاط الاقتصادى بها من زراعة وتجارة وصناعة ، وازدهار الأسواق لارتباطها بهذه الأنشطة الاقتصادية.(٢)

لقد أزدحمت مدينة فاس بالسكان الذين تنوعت أنشطتهم طوال العصر المريني وبعد انتهاء هذا العصر، فيذكر الوزان ان مدينة فاس فى مستهل القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى كانت تعج بالنشاط والسكان ، وكانت كثافة السكان عالية جدا لدرجة أنه أستحدثت مساحات عديدة خارج الأسوار وشيدت بها بعض المباني ، وخاصة فى الجانب الشمالى الغربى من المدينة القديمة (فاس البالي) . (٣)

وانتشرت المدارس المرينية بمدينة فاس وبلغ عددها إحدى عشرة مدرسة ، فاهتم الحكام بالحياة الثقافية فبنى أبو يوسف يعقوب (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ / ١٢٥٨ - ١٢٨٦ م) مدرسة الحلفائين عام

(١) ابن ابى زرع : الانيس ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، الجزائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

* المصرية: هى دويرة تبنى فوق الحوانيت ، وهو نوع من المنازل كان معروفا بمصر وانتقل الى المغرب ، للمزيد انظر الجزائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٢) ابن ابى زرع : مصدرسابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، الجزائى : مصدرسابق ، ص ٤٤ ، محمد الطويل: مرجع سابق ،

(١٢٧٥هـ/١٢٧٦ - ١٢٧٧ م) ومدرسة فاس الجديد والتي بناها أمير المسلمين أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١ م) وامر بينها عام (٧٢٠هـ/١٣٢٠ م).^(١)

فساعد الأزدهار العلمى من المدارس والجوامع بفاس الى جذب طلاب العلم من خارج مدينة فاس كل هذا أدى الى زيادة السكان بالمدينة فعمل ذلك على خلق حاجات جديدة لهم فى الأسواق.

وقد أعان على زيادة سكان مدينة فاس أن هذه المدينة لم تكن مدينة تجارية وصناعية فقط ، وإنما كانت مدينة للعلم والثقافة والذي ازدهر مع بناء العديد من المدارس فى فاس العتيقة والجديدة ، وقد استمر هذا الوضع المتميز لمدة ثلاثة قرون حظيت فاس خلالها بالازدهار السياسى والاقتصادى والفكرى بين سائر مدن بلاد المغرب. كما كانت لها علاقات اقتصادية وثقافية مع بلدان جنوب الصحراء الغربية حتى النيجر .^(٢)

كما كانت فاس مدينة جذب سكانى بفضل مسكانها وجوامعها التي انتشرت فى كافة ارجاء هذه المدينة اذ كانت تتناسب مع عدد السكان ، فوجد بها حوالى سبعمائة جامع ومسجد ، ومن بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء وبالرغم من المبالغة فى هذا الرقم فإن من أهم هذه الجوامع جامع القرويين والذي وضع اساسه عام ٢٤٥هـ/٨٥٩ م ، وجامع الأشراف وجامع الأشياخ ، وجامع السوق الكبير وجامع الحمراء وجامع أبى الحسن المرينى ، وكانت بفاس اوقاف لهذه الجوامع خاصة لجامع القرويين الذى كانت له ارض زراعية موقوفة ، ومن ايرادتها عمل الحكام المرينيين على صيانة الجامع وبناء خزائن للكتب به.^(٣)

وكان الازدهار الحضارى والفنون المعمارية فى فاس دليلا على أحوال السكان ونشاطهم فمع اتساع إحياء المدينة وتعدد أنشطة السكان فكانت المدينة تتطوّر بالتطور السكاني والتطور العمراني معا

فيذكر الوزان : أن بيوت فاس مبنية بالأجر^(٤) وبحجارة جيدة النحت ، وأكثر هذه الحجارة بديعة ومزدانة بفسيفساء جبلية ، وصحون البيوت ودهاليزها مبلطة ببلاط مربع قديم مختلف ألوانه ، على هيئة الأواني المايورقية.

(١) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٢٥ . حسين مراد : مرجع سابق، ص ٨٤، ٨٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: مصدر سابق، ص ٧٦٨٩ - ٧٦٩٠.

(٣) الوزان: مصدر سابق ج١ ، ص ٢٢٣ ، حسين مراد : مرجع سابق ص ٤١-٤٧.

(٤)الأجر: هو اللين المحرق المعد للبناء. قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية، محمد عمارة ، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٩٣-١٤١٣هـ، ص ٢٣.

والمألوف هنا أن تطلي السقوف بألوان زاهية وبهية من طلاء لازوردي وذهبي والسقوف مصنوعة من الخشب وهي أفقية تتألف كل البيوت تقريبا من طابقين والقليل منها ثلاثة لكل طابق شرفات كثيرة الزخرف والميسورين من أهل فاس يصنعون مصاريع لأبواب بيوتهم من خشب جميل للغاية ومنقوش بشكل متقن ، ودهاليز هذه البيوت قائمة فوق أعمدة من آجر مكسوة حتى منتصف ارتفاعها بالمايورقي وتزي من بعض البيوت أعمدة من رخام .^(١)

٢ - الازدهار الحرفي والصناعي

ازدهرت أسواق مدينة فاس مع الازدهار الاقتصادي ذلك الازدهار الذي تحقق بفضل نشاط سكان فاس الزراعي بالإضافة إلى نشاطهم الحرفي والصناعي ، فكانت الزراعة جيدة ومتميزة من حيث تعدد المحاصيل ووفرتها ، كما كانت الصناعة بارزة في هذا المجتمع الذي أنتج صناعات جيدة لسد احتياجات السكان والفائض منها كان يصدر خارج فاس . أما الحرف فإن فاس امتازت بنشاط حرفي واضح حيث اهتم السكان بالعمل في الحرف المختلفة التي انتشرت منتجاتها في أسواق فاس .^(٢)

ويذكر ابن ابي زرع "أن لفاس من المحرث العظيم سقيا وبعلا علي كل جهة ماليس هو على مدينة من مدن المغرب ، وعليها المحطب في جبل بنى بهلول الذي في قبلتها يصبح كل يوم علي أبوابها من احمال حطب البلوط والفحم ما لا يوصف كثرة ، ويخرج من نهر فاس أنواع من السمك مثل البوري والسنيخ والبوقه ، والشابل وغيرها ويدخل فيه الحوت - السمك - الكثير ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكثير ، ويصل إلي المدينة الحوت الكبير المسمى عندهم "القرب" ويحمله الحمار إلي السوق".^(٣)

أما الحرف في فاس فقد ازدهرت بفضل وجود منطقتين صناعيتين في هذه المدينة الأولى المنطقة الصناعية التي تقع شرقا علي طول النهر من منعطف رحبة التبن إلي مخرجه من المدينة حيث دور الدباغة ، ومعامل النساجين والخرازين والشراطين الخ ، كما توجد المنطقة الصناعية الثانية شمالا من بوجلود إلي وادي زهون ، مع دار دباغة ومعاصر الزيتون ومناشر الخشب ودور صابون وطاحونات ومعامل حياكة .^(٤)

(١) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٢٨، ٢٣١. العمري: مصدر سابق، ص ١٩٤ ومحمد المنوني: وصف المغرب، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٢) الجزائى: مصدر سابق، ص ٣٦ .

(٣) الأتيس المطرب ، ص ٣٣ - ٣٦ . مارمول : مرجع سابق ج ٢ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٤) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ج ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

وقد ساعد علي قيام الصناعة بمدينة فاس هو وجود المواد الخام اللازمة للصناعة فوجد صناعة النسيج حيث توجد بالمدينة أسواقا للقطن والكتان وزقاقا خاصا بمحلات الحياكة وكان لتوفر الكتان أثره في ازدهار صناعة النسيج الكتاني ، الذي كان له أماكن خاصة بالمدينة كما وجدت صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التي كان يتم تبطنها واستخدمت لتغطية الشوارع وصحون المساجد من أشعة الشمس كما يوجد في جامع القرويين . (١)

وازدهرت صناعة النسيج من القطن ، مثل الأشرطة والشركات التي تعلق بالركابات علي صدور الخيل مع السروج ووجدت حرفة الخياطة وتبييض الخيط في درب القطان ، وسوق القطانيين وكان لهما شهرة كبيرة في فاس . كما كانت صناعة الحرير بفاس كبيرة . (٢)

فكان بفاس مائة وواحد وأربعين دارا خاصة بالغزل وساعد على ذلك توافر الصوف اللازم عن طريق الرعاة حيث كانوا يقومون بتربية الأغنام ، وكانت العمليات الأولية السابقة للغزل تقوم بها النساء في المنازل ووجدت صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التي كان يتم تبطنها واستخدمت لتغطية الشوارع وصحون المساجد من أشعة الشمس كما يوجد في جامع القرويين . (٣)

ولوفرة القطن والكتان اللازمين لصناعة الورق ازدهرت هذه الصناعة حيث وجد بمدينة فاس مائة وأربعة معملات لعمل الورق . وعملت المرأة بمدينة فاس بالمشاركة في صناعة الورق (البسطلية) ومع قيام صناعة الورق قامت عدة صناعات أخرى منها صناعة التسفير أو التجليد ، والنسخ التي قام بها عدد كبير من الفقهاء والعلماء في فاس . (٤)

(١) ابن زرع : مصدر سابق ، ص ٦٣ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ١٧١ ، ١٨٤ ، مارمول : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) مارمول : المصدر السابق ج ٤ ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٣) الإنريسي : وصف أفريقيا الشمالية ، ضمن زهرة المشتاق في اختراقات الأفاق منشورات المعهد الجامعي الشرقي ، إيطاليا ، ص ٣٧ . أحمد عبدالرؤوف : رسالة في الحسبة والمحاسب ضمن الثلاث رسائل أندلسية ، ليفي بروفنسال ، منشورات المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ١٩٥٥ ، ص ٨٧ ، الجزنائي : مصدر سابق ، ص ٩٦ ، الوزان : المصدر السابق ص ١٧١ ، ابن عيشون الشرايط : أروض العطر بأخبار الصالحين من اهل فاس ، تحقيق زهران النظام ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، ط ١ سنة ١٩٩٧ ص ٩٧ ، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج في المغرب الوسيط ، مجلة كلية الآداب ، فاس ، ١٩٨٥ ، ص ٥٣ .

(٤) ابن القاضي : مصدر سابق ، ص ١٦٩ . المقرئ : أزهار الرياض مصدر سابق ج ٢ ص ٣٢٩ . محمد المنوني : الوراقة المتزينة ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١٦ ، السنة السابعة سنة ١٩٣٠ ص ٤٠ ، عبدالهادي النازي : جامع القرويين ج ١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٥ .

كما قامت العديد من الصناعات علي الانتاج الزراعي مثل طحن الغلال ، وذلك لوفرة القمح والشعير والمياه مما أدى الي وجود عدد كبير من الارحاء بالمدينة فوجدت بفاس اربعمائة واثنين وسبعين رحى وكانت احجارها طاحنة . ومع طحن الغلال ازدهرت صناعة الخبز فبلغ عدد الأفران في مدينة فاس ألف ومائة وسبعين فرنا . (١)

ولقرب مدينة فاس من الأراضي المزروعة بالزيتون ، كانت احمال الزيتون تتجه الي فاس يوميا فقامت صناعة زيت الزيتون . وازدهرت صناعة الصابون فوجدت سبعة وأربعين دارا لصناعة الصابون . (٢)

وقامت صناعة ماء الورد بمدينة فاس لشهرتها بأنواع كثيرة من الأزهار لاتوجد في غيرها من البلدان الرند والياسمين ، والأزهار العطرة والرياحين وأنواع أخرى من الورد مما ساعد علي ازدهار صناعة ماء الورد . (٣)

ولكثرة الثروة الحيوانية بفاس قامت الصناعات الجلدية ، مثل أكياس النقود والأحزمة الجلدية كما كان الإسكافيون يصنعون أحذية مطرزة ، والأخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحريز . (٤)

واشتهرت صناعة دبغ الجلود وأقيمت خارج المدينة بجانب مجاري المياه وبلغت دور الدباغة ثمانمائة وستون دارا ووجدت مائة وستة عشر دارا للصبغة ، وذلك لتوافر الأنهار التي كانت تحتاج اليها الصباغة ويسمع في الأحياء الصناعية من الزقاق الصوت المخنوق لمشط الحائل الذي يدق الثوب او الضربة الخاطفة لمدق الخرازين وصانعي الأدوات الجلدية او الغناء المتوازن للمطارق على سندان الحدادين أو ضجة النحاسين أو خريز أرحاء الحبوب وأحيانا تكون الرائحة هي المخبرة : من أربح الدقيق الطري الحاد الي الفطر الفائح للزيتون الذي يسيل زيته وتنانة الدباغة المنتشرة في الأزقة

(١) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ . الجزائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، ابن الخطيب: مصدر سابق ، ص ١١١ .

(٢) العمري: مصدر سابق، ص ١٤٢، ١٤٣ . القلقشندى: مصدر سابق ج ٥ ، ص ١٧٥ ، عز الدين موسى: مرجع سابق، ص ٢٣٩ .

(٣) العمري: مصدر سابق ، ص ١٣٩ ، ابن غازي: مصدر سابق ، ص ٧ .

* وقد أوضح الطغرى وصف صناعة ماء الورد ، ومقايسة وطريقة التحضير وحفظ الإنتاج ، وتطبيبه بالمسك أو الشب لوالكافور ، ونسيت هذه المواد التي تستخدم لذلك ، وللمزيد لنظر: عز الدين موسى: مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٤) ابن ابي زرع: مصدر سابق ، ص ٤٨ - الجزائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، روجيه لوطونو: فاس قبل الحماية، ص ١٨٦، ١٨٧ .

المجاورة وفي الغالب يشاهد الصناع وهم يشتغلون في دكاكينهم الصغيرة المفتوحة على الزقازيق ، وقد يتفق لهم حتى التطاول على الطريق العمومي كالخياطين أو نساجي الحرير أو الاسكافيين . (١)

وشهدت فاس تقدما واسعا في الصناعات الخشبية ، فمع وفرة الأشجار قامت صناعة السفن الصغيرة التي كانوا يستخدمونها في فاس للصيد في نهر سبو ، وقاموا بعمل النوافذ والأبواب والمنابر والمقصورات بالمساجد والمنازل وأثاث وتحف زخرفيه ، وصناعة المكاييل الخشبية لكييل القمح والحبوب ، وصناعة المزامير والاربية. (٢)

ويتوافر النحاس الأصفر ، والحديد فانتشرت صناعة الأدوات الحديدية ، والنحاسية فكان النحاس والحديد يتم استخراجهم من معدن قرب فاس يسمى معدن عوام الشهير ، فقاموا بصناعة المخروطات النحاسية ، ووجد بفاس اثنتا عشرة دارا لصناعة النحاس والحديد . (٣)

ومن أشهر المصنوعات الحديدية التي كانت تباع في أسواق فاس المسامير والسكاكين والسيوف وركاب الخيل وأدوات الخياطة ، وأدوات عسكرية ومدنية ارتبطت بها أعمال النجارة والبناء فاستخدموا الحديد في صناعة قنابل كبيرة استخدموها في حروبهم ، وكان بفاس في القرن ٨هـ / ١٤م صناع اختصاصيون في الآلات النارية . (٤)

ومن الصناعات التي انتشرت الصناعات الفخارية فكان بفاس مائة وثمانية وثمانين معملا لصناعة الفخار خارج نطاق السور ، وأيضا الصناعات الزجاجية حيث كان بها " مصنعا لعمل الزجاج" وكانت تتم في معامل تحت الأرض لكي لا تتأثر الصناعة بالريح والغبار وتتم بعده الأندلس بفاس ، وضع منها قوارير للزجاج التي كانت توضع في أول الليل وأخره بمسجد القرويين . (٥)

ويذكر ابن ابي زرع أن حوانيت الصناع والحرفيين في فاس كان عددهم تسعة آلاف واثنتين وثمانين حانوتا وقيساريين ، أحدهما بعده القرويين والثانية بعده الأندلس ، بالإضافة إلى الترابيع

(١) البيدق: مصدر سابق ، ص ٢٤ ، ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٦٠ ، ٦٥ الجزائى : مصدر سابق، ص ٥٥ مارمول : مصدر سابق جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣ .

(٢) مارمول: مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٤، ١٥٣ ، عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب فى عهد الموحدين ، المجلد ٦ ، ص ٢٩ .

(٣) مجهول : الاستبصار مصدر سابق ، ص ١٨١ . الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٥٣ . ابن ابي زرع : مصدر سابق ص ٤٨ الجزائى: مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٤) الوزان: مصدر سابق، ص ١٨٤ . محمد المنونى : أبحاث مختارة ، صناعة الأسلحة النارية بالمغرب، منشورات وزارة الشؤون الثقافية ص ٢٤٧، ٢٤٦ .

(٥) الجزائى: مصدر سابق ، ص ٤٤ ، ٦٨ . مارمول : مصدر سابق جـ ٢ ص ١٥ .

والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستون ، وسبع وأربعون دارا لصناعة الصابون ، ومائة وخمس وثلاثون كوشة لعمل الجير وطفه ، وكان بها من الأفران فى جهاتها وأزقتها ألف ومائة وسبعون فرنا .^(١)

لقد مثلت الصناعة والحرف اليدوية فى فاس فى عهد دولة بنى مرين نشاطا من الأنشطة الاقتصادية المهمة التى ساعدت فى عمران الأسواق وامتد سكان المدينة بحاجاتهم زمن الدولة المرينية .

وقد ازدادت تلك الحاجات مع تبحر عمران المدينة ، ومما ساعد على ازدهار الأنشطة الاقتصادية أن الموحدين خلفوا للمرينيين قاعدة صناعية كبيرة تحدثت عنها مصادر التاريخ .^(٢) لكن الصناعة ازدهرت فى مدينة فاس فى العصر المريني عما كانت عليه فى عهد الموحدين ، بعد أن أصبحت حاضرة لتلك الدولة بالإضافة الى اتساع العمران حول فاس القديمة، ببناء فاس الجديد أو المدينة البيضاء وحي الملاح. ومما لاشك فيه أن ذلك الازدهار الصناعي كان بسبب وفرة المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد والنحاس والفضة وغيرها من المواد الخام الزراعية والرعية والغابية ، كما توفرت المواد الخام التى تدخل فى صناعة مواد البناء مثل الجبس والصلصال وأنواع الحجارة وأنواع الرمال ، كما كانت هناك الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس والتي استخدمت فى صناعة أدوات الزينة.^(٣)

والى جانب توفر المواد الخام توفرت الخبرات اللازمة للازدهار الصناعي ، وقد اكتسب صناع فاس فى العصر المريني خبرات عديدة من رصيد الخبرة الكبيرة الذى كان فى عصر الموحدين، بالإضافة إلى الصناع الأندلسيين الذين أقاموا فى هذه المدينة، وازدهرت حرف دقيقة فى فاس فى عصر بنى مرين مثل صناعة الساعات والإسطرلابات.^(٤)

٤- المنشآت التجارية :

أسهم تطور الأنشطة الاقتصادية فى فاس خاصة الزراعة والرعى والتعدين بالإضافة الى الحرف والصناعات فى انتعاش الحركة التجارية فى هذه المدينة وأعان على هذا الانتعاش وجود العديد

(١) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) الجزنائى: مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٣) الجزنائى: مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٤) محمد عيسى الحريري: مرجع سابق، ص ٢٨٤ - ٢٨٧ .

من المنشآت التجارية لاستقرار التجار الغرباء ، وشملت هذه المنشآت العديد من الفنادق والقيساريات ، التي اعدت لأقامة هؤلاء التجار مع تخزين سلعهم وبيعها .

وانتشر الخان بالمغرب الأقصى فهو يتألف من صحن مستطيل الشكل تحف به أربعة أروقة تشتمل على حجرات ولأروقة اهميتها حيث أنها تظل التجار والحيوانات والبضائع حتى لا يبقوا فى العراء والطابق الأرضي يخصص للمتاجر والإسطبلات ، والخان يشتمل على حجرات للضيوف، وكذلك مخازن تجارية فالخان وظيفته التخزين والبيع ومأوى للتجار الغرباء ، والخان لفظ فارسى وتركى وبالفارسية يعنى الحانوت ، أما بالتركية دار العمل والتجارة .^(١)

ومن المنشآت التجارية الفنادق وهى كلمة فارسية وتعنى الخان أيضا ، وأقيمت خصيصا للتجار الأجانب .^(٢)

وقد كثرت الفنادق فى مدينة فاس لاستقبال العدد الكبير من التجار الموجدين بها ويصفها الوزان قائلا " تحوى فاس مائتي فندق فخمة البنيان للغاية فبعضها يكون فسيحا ، مثل التى تقع بجوار الجامع الكبير وتتألف كلها من ثلاث طوابق ، ويحوى بعضها مائة وعشرين غرفة والبعض أكثر من ذلك" .^(٣)

ومن أشهر فنادق هذه المدينة فندق الشماعين ، وفندق الملجوم ، وفندق الغرباء، وفندق الحدودي وفندق التجار، وفندق الزيت ، وفندق الرضاع وفندق خنوسة وابن حيون، ويوجد فندق كبير للأسرى المسيحيين يصنعوا فيه أدوات من الحديد ويوجد بفاس الجديد وفندق التطاونين الذي يقع تجاه الجدار الشرقي لجامع القرويين، فمعظم هذه الفنادق وجدوا بجوار الجامع الاعظم بفاس الجديد ، وجامع القرويين.^(٤)

(١) ليوبولدو توريس بلياس: الأبنية الإسلامية ، تحرير عليا ابراهيم العناني، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣ ، ص ١١٨ .

(٢) رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الاسلامية فى مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الاولى ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ ، ص ٤٣ ٤٥ .

(٣) الوزان: مصدر سابق، ص ٢٣٦ ، ويتحدث عن الفنادق التى تحولت بعد ذلك فى القرن الخامس عشر الميلادى الى اماكن للخلاعة ، ولم تنجو من ذلك غير الفنادق القريبة من الجامع .

(٤) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ١٠٥ ، ١٧٦ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٧ ، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ١٩٩ . عبد الوهاب الديبشي: توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، كلية الآداب ، الدار البيضاء، القسم الثانى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، اعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ص ٤٥ .

أما القيساريات فهي جمع قيسارية ، وتتكون من بناء مربع أو مستطيل المساة بوسطة صحن أو فناء سماوى يدور حوله الحوانيت وله عدد من المداخل، والقياسر مصطلح لاتينى مشتق من اسم قيصر أو قيصرية ويعنى سوقا صغيرة وتحرف الاسم الى قيسارية.^(١) ويرى البعض أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق .^(٢)

وتضم القيسارية خمسة عشرة سوقا وكل سوق يختص بنوع معين من السلع ، مثل سوق الحائكين والكتكن وثياب الحرير ، وسوق القطن البالي والمفصل الجديد وتطريز الحرير، وسوق العطارين وسوق يبيع الإبرة والخيطه ، وسوق الغزل والخضر واللحم ، وسوق الحرير الغير منسوج وسوق الحناء وسوق العاسول، وسوق بيع أعشاب الأدوية ، وسوق بيع المعاجين والترياقات وسوق الشراييل.^(٣) أما القيساريات فهي جمع قيسارية ، وتتكون من بناء مربع أو مستطيل المساة بوسطة صحن أو فناء سماوى يدور حوله الحوانيت وله عدد من المداخل، والقياسر مصطلح لاتينى مشتق من اسم قيصر أو قيصرية ويعنى سوقا صغيرة وتحرف الاسم الى قيسارية.^(٤) ويرى البعض أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق .^(٥)

وقد وصف الوزان قيسارية فاس بأنها عبارة عن مدينة صغيرة تحيط بها أسوار تحتوي علي اثني عشر بابا ، وتضم خمسة عشر حيا ، وأوضح أن كل مدخل للأبواب يعترضه سلسلة وذلك لكي تتمكن الخيول والحيوانات من الدخول إليها .^(٦)

ولم تكن القيسارية تتكون من حوانيت فقط إذ كانت تقوم الي جانب هذه مخازن يسمى واحدها فندق ويتم تخزين السلع بها ، وبيعها بالمزاد العلني علي مقربة من القيسارية .^(٧)

(١) رفعت محمد: مرجع سابق ، ص ٣٧ ، ٣٩ .

(٢) احمد الطوخي: القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٢٨ سنة ١٩٨١ ، ص ٦٧ ، ٦٩ .

(٣) مجهول : مخطوطة ذكر قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين ، تحقيق نوال عبدالعزيز :ضمن علاقات المغرب الاقصى الخارجية فى عهد بنى وطاس ٨٦٩-٩٦٢هـ / ١٤٦٥-١٥٥٤م ، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهدالبحوث والدراسات الافريقية ١٩٩١ ، ص ٢٤٧، ٢٤٦، الوثنريسي: مصدر سابق ، ج٣، ص ١٥٧ ، ٢١٧ . محمد رابطة الدين: قيسارية مراكش الموحدية ، كلية الآداب ، مراكش ص ١٥ .

(٤) رفعت محمد: مرجع سابق ، ص ٣٧ ، ٣٩ .

(٥) احمد الطوخي: القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٢٨ سنة ١٩٨١ ، ص ٦٧ ، ٦٩ .

(٦) الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٤٥ ، احمد الطوخي : مرجع سابق ، ص ٨٧ - ٧٩ .

(٧) روجيه لوطونو: فاس في عصر بنى مرين ، ص ٤١ .

وبفاس يوجد نحو ثلاثين دكانا للعدول وثلاثين دكانا للكاتبين ، ومائة وخمسين دكانا لبائعي الأحذية وخمسين دكانا للخرازون ونحو خمسين دكانا لبيع الفاكهة ، وباعة الشمع والأزهار وبلغ عدد دكاكينهم نحو عشرين دكانا وباعة اللين حيث يباع يوميا في فاس خمس وعشرون بطة من اللين الطرى والحامض. (١)

ومن ثم نجد بائعي القطن وبلغ عدد دكاكينهم ثلاثين وبائعي الملح والجبس ، والوانى الخزفية والذين بلغ عددهم مائة دكان ، وبائعو السروج والركابات والأحزمة بلغ عدد دكاكينهم نحو ثمانين دكانا، وكانت تقع معظم هذه الدكاكين حول مسجد القرويين وبالقرب منه . (٢)

ووجد عدد كبير من الأسواق دخل مدينة فاس منها سوق الخضار حيث يباع الكرنب ونوع من اللفت وسائر الخضار ويضم هذا السوق نحو أربعين دكانا ، وتقوم حول الساحة دكاكين تباع فيها الشعرية. (٣)

ومن ثم يأتى سوق الدخان حيث تباع الفطائر المقلية فى الزيت ، وسوق الزيت والسمن والعسل والجبن الطرى والزيتون والمال والليمون الحامض والجزر ، وسوق الجزارين والذى بلغ عدد دكاكينهم نحو أربعين دكانا ، وبعد ذلك نجد سوق الأقمشة الصوفية الغليظة ويضم نحو مائة دكان ، وسوق الكتان وهو بناء كبير تحيط به أربعة أروقة فى أحدهم باعة نسيج الكتان ، وباعة الدقيق وباعة التبن ويشغلون نحو عشرة دكاكين ، وسوق الدخان وصانعى الدلاء الجلدية ويشغلون نحو أربعة عشر دكان وصانعى الظروف التى يخزن بها الملح والدقيق ولهم نحو ثلاثين دكانا ، وسوق التجار وهو شبه مدينة صغيرة له اثنا عشر بابا . (٤)

فأسواق فاس كانت تزخر بتعدد أنواع البضائع التى تجلب إليها، وجنسيات متعددة من التجار فيشير الجزائى لذلك ليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف، فقد اجتمع فيها ما ليس فى مدينة من بلدان الدنيا . (٥)

وبجانب الأنواع السابقة توجد أسواق أخرى اتخذت شكلا هندسيا رباعيا بالقرب من الأسواق المركزية وعرفت بالتربيعية ، وهى مكان صغير محاط بدكاكين ، حوائيته معلقة وسط فناء عار ،

(١) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٣-٢٣٥ .

(٢) الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٥ .

(٣) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٤) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٣٨-٢٤٠ .

(٥) الجزائى: مصدر سابق، ص ٣٩ .

وكانت قريبة من سوق العطارين ومنها تربية القرافين والحايك والسلهام والحنبل ، ووجدت الرحبة والتي تعتمد على المكابيل في أوزانها ومن أمثلتها رحبة الزرع ، ورحبة الأعواد ، وزريبة الخشب و رحبة القيس والبركة (سوق العبيد).^(١)

ومن خلال العرض لعدد الأسواق والقياسيات بمدينة فاس نجد أن المدينة ضمت عددا كبيرا من الأسواق لجميع أنواع السلع التجارية وكل ذلك ساعد على سد احتياجات السكان اليومية .

٥ - الطرق والمواصلات :

قام بعض السلاطين المرينيين منذ عهد ابي بكر ، وأبي الحسن المريني بإجراءات لتأمين المسالك والطرق ، فأمروا بإقامة مراكز للحراسة وتموين المسافرين والتجار ، وعملوا على إقطاع للعاملين على ذلك مكافآت لهم .^(٢)

وقد انقسمت الطرق الي طرق داخلية وطرق خارجية أما بالنسبة الي الطرق الداخلية فقد انقسمت الي طرق برية وطرق نهريّة : -

فالطرق النهريّة استخدمت في النقل حيث قام أبو عنان بإقامة دار للصناعة لصناعة المراكب بمدينة فاس ، فكانت تسير في نهر سبو واستخدم النهر لنقل أخشاب الأرز الي فاس .^(٣)

أما بالنسبة للطرق البرية ، فهي تسمى الأزقة فلها عدة محاور فهناك الزقاق الأول يؤدي تقريبا من باب فتوح إلي قنطرة بين المدينة ، وهو عبارة عن طريق عريض يكاد يكون مستقيما ، حتي جامع الأندلس وكان لهذا الطريق بديل يدعى محج الفخارين وجامع الأشياخ العتيق محاذي لبعض المعاصر ومعامل الفخار ، ثم يتحول إلى اليسار ويلتحق بالصفاح ودرج النمطي باسم زنقة فندق العطار وهذا الطريق يمر للدواب .^(٤)

(١) عبدالوهاب الدبيش: مرجع سابق، ص ٤٣ .

(٢) الاستبصار: مصدر سابق، ص ٢١٥ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٢٩ .

(٣) وقد استخدم وادي سبو في سير القوارب والسفن الصغار الي البحر الأعظم وقد قام ابو الحسن في سنة ست وخمسين وسبعائة ، بجلب ضريحة ببله من الرخام الأبيض وحملت على عجل الخشب حتي ضفت نهر سبوا الي أن وصلوا إلي ملقي وادي فاس ومنها الي مدرسة الضريح بعده الأندلسيين . مخطوط : رسالة في ذكر فاس ، ورقة ٤٨ ، ٤٩ ، مجهول: خطط فاس، ورقة ١ ، الجزائى: مصدر سابق ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٢١٠ ، ٢١٢ .

أما المحور الثاني للسير يصل باب فتوح بقنطرة الطرافين ، ويسير سريعا عبر مقبرة باب الحمراء ويغوص بالمدينة ، ويجتاز باب سيدى حنين القديم ثم يلتحق بالحدادين النخالين عن طريق محج سيدى المغيث ، ومن ثم قنطرة الطرافين أما المحور الثالث يصل حى المخفية الخارجي بقنطرة سيدى العواد عبر كزام ابن برقوقة وبعد اجتياز القنطرة يلتحق بالمحور لعدوه القرويين ، ووجدت إعداد من القنطرة بمدينة فاس منها ، قنطرة الطرافين ، وقنطرة سيدى العواد وقنطرة كزام ابن برقوقة ودرب سيدى العواد والنخالين ، ومحج الخراشفين ، وكزام ابن زكون، وقنطرة الصباغين . (١)

اما عن وسائل النقل والمواصلات فى مدينة فاس فنجد أن التنقل داخل فاس تنظمه الشوارع، فهي كانت عريضة نسبيا والعربات لم تكن تعرف فى مدينة فاس ، ولا فى المغرب فكان القوم ينتقلون مشاة والأثرياء يمتطون البغال والدواب ، فاستخدم الدواب فى نقل البضائع . (٢)

وقد أورد الونشريسي نازلة تتعلق باستخدام البهائم فى نقل السلع والأسواق ، كمن باع جزء من دابته لمن يحفظها ويشاركه فيها ، أو من يدفع دابته إلى أجير بنصف ما يكتسبه بها من الأجر والربح ، فنظام المشاركة تناولها المعيار باستفاضة . (٣)

اما بالنسبة للطرق الخارجية ، فنجد طرق ربطت مدينة فاس بمدن المغرب الأقصى، وطرق بين فاس وكافة مدن بلاد المغرب ، وطرق ربطت بين فاس والسودان الغربى .

فبالنسبة للطرق التى ربطت بين فاس ومدن المغرب الأقصى فنجد طريقا من فاس الى سبتة ، وطريق آخر يربط فاس بمدينة سلا . (٤)

(١) روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص ٢١٥ .

(٢) روجيه لوطورنو : فاس فى عصر بني مرين ، ص ٤٦ .

(٣) الونشريسي: مصدر سابق جـ ٦ ، ص ٢٠٣-٢٤٤

(٤) سلا: مدينة قديمة ، وهى موازية لوادى أبى الرقراق ولها شهرة كبيرة فى الجند والأوانى النحاسية والحديدية ونسج الزرابى، وكانت تحت سلطة المرينيين وقد وقعت فى ايدى النصارى أربعة وعشرين يوما أيام الملك يعقوب بن عبدالحق المرينى ومعظم سكانها يعملون بالحياكة من القطن والكتان ، وتصنع كميات كبيرة من الأمشاط التى تصدر لمدينة فاس: للمزيد انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان ، جـ ١٠، ص ٢٣١ ، الوزان: مصدر سابق ، ص ٢١٣، ٢١٤ .

وقاس مكناسة^(١) وقاس - وزان - العرائش - طنجة^(٢) فاس-أغمات^(٣) (مراكش)^(٤) عبر تادالا^(٥) .

وطرق أخرى تربط بين فاس ومدن المغرب ومنها فاس - وجده وتلمسان عبر مجموعة من المراكز أهمها رباط تازا .^(٦)

وتربط فاس بالسودان الغربي عدة محاور فاس - أغمات (مراكش) - السوس الأقصى^(٧) نول لمطة^(٨) ومن فاس إلى سجلماسة ثم إلى السوس الأقصى ويمر بعد ذلك إلى مدينة نول لمطة ،

(١) مكناسة: إحدى مدن المغرب الأقصى ، وتقع على مسافة أربعين ميلا إلى الغرب من فاس واشتهرت بزراعة الزيتون فسميت مكناسة الزيتون والرمال للمزيد انظر الادريسي: مصدر سابق ، ص ٧٦ - ٧٧، مجهول: الاستبصار، ص ١٨٧ ، ابن الخطيب: مشاهدات ابن الخطيب ، ص ١٠٩. الجغرافيا الاسلامية : حول جغرافية وطوبوغرافية الاندلس، جمع وطبع فؤاد سزكين وآخرين ، نشر معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ألمانيا ، ١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ ، القسم الاول ، مج ١٥١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) طنجة: مدينة كثيرة الفواكه ، والبحر لديها اضيق ما يكون فهو ثمانية عشر ميلا . للمزيد انظر ابو الفداء : تقويم البلدان ، دار صادر، بيروت، دن ص ١٣٢ .

(٣) اغمات: تقع على مسافة أربعة وعشرين ميلا من مراكش وتجري بها عدد كبير من الأنهار وهي خصبة التربة ، وكثيرة الفواكه العنب والتين . للمزيد انظر الوزان : المصدر السابق، ص ١٤٨ . الجغرافيا الاسلامية : مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

(٤) مراكش: مدينة كبيرة وتقع في سهل واسع على مسافة أربعة عشر ميلا من الأطلس ، وهي تبعد عن الرباط بمسافة ٣٢٦ كم وبينها وبين فاس عشرة ايام واتخذها الموحدون عاصمة لهم ويكثر بها زراعة الزيتون. للمزيد انظر ابن الخطيب: معيار الاختيار في نكر المعاهد والديار ، تحقيق محمد شبانة، دار الثقافة، ص ١٦١ .

(٥) تادالا: مدينة بين جبال صنهاجة وتقع تادالا بين مراكش وبين فاس من الغرب الاقصى للمزيد انظر ابو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

(٦) تازا: مدينة كبيرة تعيش في رخاء ، وبناها الافارقة على مسافة خمسة أميال من جبال أطلس وتقع على مسافة ثمانين ميلا من فاس وماتنين وخسين ميلا من المحيط وخمسة وسبعين ميلا عن البحر المتوسط، ويزرع بها العنب وهي كثيرة اليهود . للمزيد انظر الوزان: المصدر السابق، ٣٥٧-٣٥٨ .

(٧) السوس الاقصى: يطلق عليها تاروندت ونهرها يأتي من جبل لمطة ومن منها درعة ، ويكثر بها البساتين . للمزيد انظر ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩١ ، الادريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ابو الفداء: مصدر سابق ص ١٣١

(٨) نول لمطة: هي اول الصحراء وبها نهر كبير ينزل من جبل لمطة ويصب في المحيط ، ومن وادي السوس إلى نول لمطة ثلاث مراحل . للمزيد انظر البكري : مصدر سابق ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ابو الفداء : نفس المصدر والصفحة .

ويتقاطع مع طرق أخرى خصوصا الطريق الواصل بين سجلماسة والبحر المتوسط عبر مكناسة وفاس
مراكش ونجد طريقا آخر يربط فاس بالمدن الأندلسية فاس و جنوة . (١)

ويعتبر الطريق المباشر فاس - سجلماسة مرورا بصفرو (٢) من أهم الطرق والذي عرف
بطريق السلطان وطريق الثمور، ومن سجلماسة كانت القوافل تواصل طريقها إلى السودان الغربى
عبورا بمحطات تجارية صحراوية أودغشت وغانة . (٣)

لعبت سجلماسة دورا كبيرا في تجارة مدينة فاس فكانت من أهم المحطات التجارية التى
ربطت فاس بالتجارة الداخلية والخارجية .

وكانت البهائم تحمل البضائع منفردة في أحمال وغرائر ، يتم من خلالها نقل الملح ، حيث يتم
نقطيعه ألواحا كألواح الرخام ويحمل علي الجمال . (٤)

وكان لازدهار المقومات البشرية والطبيعية وتوافرها عامل كبير علي قيام الأسواق داخل مدينة
فاس وقام الحمالون بدور كبير في نقل السلع التجارية داخل أسواق مدينة فاس ، وكانت لهم نقابه
تحظى بامتيازات خاصة ، وهم لا يؤدون أية ضريبة ومن يحكم عليه بالإعدام من مجرميهم لا يعدم
بحضور الجمهور . (٥)

وعمل عدد من المقاولين على تأجير دوابهم ، لنقل مختلف المتاجر كألواح من خشب الأرز أو
الزيتون وأحمال الرمل والأجر الذي يستخدم في البناء وأكياس من القمح أو الصوف ، وكان عدد من
الحمير يسير في قافلة واحدة خلف سائق تخترق شوارع المدينة أما البغال والخيل فكان لكل واحد منها

(١) الإدريسي:مصدر سابق ،ص ٢٤٢ ، البكري: مصدر سابق ، ص ٨٧ ، مجهول : الاستبصار، ص ١٨٦ ،
الحميري: مصدر سابق ،ص ١٢٧ ، ماجدة كريمة : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان فى العصر المريني،
رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، شعبة التاريخ ، الرباط
١٩٨٧ - ١٩٨٨ ، ص ١٧٦ .

(٢) صفرو : بلدة فى المغرب ، وفيها من الفواكة الكثير ومنها يجلب الجوز الى مدينة فاس، للمزيد انظر البكري:مصدر
سابق، ص ١٤٧ .

(٣) عبدالعزيز العلوى: فاس والتجارة الصحراوية قبل الحملة السعدية على اميرطورية سنغاي ، ندوة فاس واfrica ،
كلية الآداب والعلوم الانسانية ، فاس ١٩٩٣ ، ص ٥٨ .

(٤) الونشريسي: مصدر سابق ج ٥ ، ص ١٣٦ ، ص ٢٦٢ .

(٥) إبراهيم حركات: الحياة الاقتصادية فى العصر المريني ، ص ١٣٤ .

سائق ومع حلول الليل والظلام يصعب التنقل داخل المدينة حيث كانت من أهم ما تتميز به المدينة هو أن كل حي من أحيائها له باب يقفل بالليل فيصعب التنقل من حي الي حي آخر .^(١)

من خلال عرضنا للمقومات الطبيعية من موقع جغرافي وبيئة زراعية ، والمواد الخام والمقومات البشرية من سكان وحرف وصناعات ومنشآت تجارية وطرق ومواصلات ، يتبين لنا ان مدينة فاس كانت مدينة تجارية قوية في عصر من أزهى عصور المغرب وهو العصر المريني أسهمت هذه المقومات في جعل أسواق فاس في العصر المريني من أفضل أسواق المغرب.

(١) روجيه لوطورنو: فاس في عصر بني مرين ص ٤٧ - ٨٢.